الممرّضة دي

الكتاب: الممرّضة دي (خسوف)
المؤلف: حميد عقبي
النّاشر: دار الدّراويش للنّشر والتّرجمة- بلوفديف- بلغاريا
Дервиши

العدد: ١٣٤٥
الطبعة الأولى فبراير ٢٠٢٥
٦٧ص؛ ٢١× ١٤ سم.

الكتب والدّراسات التي تصدرها الدّار إنما تعبّر بالضرورة عن آراء ووجهات نظر واجتهادات أصحابها، ولا تمت لرأي الدّار بأي صلة.

تم الإيداع في المكتبة الوطنية صوفيا بلغاريا : ٢٠٢٥

(ISBN) (ردمك) الورقي 978 - 3 - 98529 - 011 - 6
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي: بدر السويطي.
الصفّ الضوئي والإخراج الداخلي: محمود عنتر
فرز الألوان والتنفيذ الطباعي: دار الدراويش للنشر و الترجمة
المدير العام: بدر السّويطي

للتواصل:
الدّراويش للنّشر والتّرجمة
daraldarawesh@gmail.com
هاتف: 00359876691445، ص.ب: 4210
شارع تورغوفسكا رقم ٧- ستامبوليسكي- بلوفديف- جمهورية بلغاريا.

© كافة حقوق النّشر، الطبع والاقتباس محفوظة، عدا حالات المراجعة والتّقديم والبحث والاقتباس العادية ذكرًا للمصدر؛ فإنه يحظر إعادة إصدار، نسخ، تصوير، ترجمة أو اختزان -ورقيًا أو إلكترونيًا- أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها في نطاق استعادة المعلومات -سواء كانت تصويرية، إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التّسجيل الفوتوغرافي أو التّسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة وغيرها-، دونما الحصول على تصريح خطي مسبق من النّاشر والإشارة إلى المصدر.
وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع -دون موافقة كتابية- يعرّض صاحبه للمساءلة القانونية.
*تباع النّسخة إلكترونيًا عبر موقع الدّار.

الممرّضة دي

حميد عقبي

©
الدّراويش للنشر والتّرجمة
AL-DARAWESH FOR PUBLISHING & TRANSLATING
WWW.DARAWESH.COM

بلوفديف -جمهورية بلغاريا
Plovdiv-Bulgaria
2025

الإهـداء

إلى اللّيـالي الشّـتويّة الصّاخبـة بالرّغبـات واللّـذّة، بالبخـور والشّـعر والحكايات، تبدّلت اللّيالي وأمست تحمل شبح الحروب والضّياع، عسى أن يعود السّلام إلى أوطاننا وقلوبنا.

كلمة شكر وتقدير

إلى الصّديـق النّاشر والشّـاعر بـدر السّـويطي ودار الدّراويش للنّشر والتّرجمة.

إلى الصّديق الأستاذ والفنّان العراقي يوسف النّاصر لجهده في المراجعة اللّغوية لنصّ الرّواية.

إلى الصّديـق الشّـاعر والكّاتب التّونسي سـمير بية لجهـده في المراجعة اللّغوية النّهائية.

كلُّ الشكرِ للناقدِ الأكاديمي المصري د. طارق مختار، لملاحظاتِهِ القيّمةِ والنقاشِ المُوسَّعِ حولَ الروايةِ قبلَ الطبع.

إلى موقع «كناية» والنّاشر والشّـاعر العراقي حكمت الحاج، حيث تمّ نشر النّسخة صفر على موقع كناية.

المقدمة

أزمة الإنسان المعاصر وصراعه من أجل الوجود

د. طارق مختار سعد

يعالج الكاتب الروائي «حميد عقبي» في روايته القصيرة «الممرضة دي» أزمة الإنسان المعاصر وصراعه من أجل الوجود، حيث يتداخل ما هو مادي مع ما هو معنوي، في ظل إيقاع سردي سريع تتميز به أعمال الكاتب، وقد اعتاد «حميد عقبي» أن تمزج عوالمه السردية بين الواقع والخيال، ليخلق عالمًا خاصًا به، يشيد أركانه من خلال لغة رشيقة تؤكد على امتلاكه مهارة توظيف الأدوات السردية اللازمة لذلك، حيث تزخر أعماله بالاستباق والاسترجاع، والحذف والتلخيص، بالإضافة إلى المشاهد الوصفية الخاطفة التي تكشف عن أبعاد شخصياته الخارجية والداخلية، كل ذلك عبر تقنية الراوي العليم الذي يهيمن بقوة على روايات «حميد عقبي»، الأمر الذي يسمح له بالتحكم في إيقاع السرد وتحريك مسار الأحداث وفق وجهة نظره الفنية.

تدور أحداث الرواية في إطار زمني محدود، لا يتجاوز بضعة أيام خلال الاستعداد لأعياد الكريمساس في إحدى المدن الفرنسية، تلك الأيام التي

تعلـن عن نهاية عام مضى، وميلاد عـام جديد، وهذا هو الدال الذي يرمز مـن خلاله الكاتب إلى ميلاد جديد لبطل الروايـة «حبيب اليمني»، الذي يسـتيقظ صبيحة يوم غائم يعاني فيه من ضبابية الرؤية، فيجد حاله أشـبه بحال «جوزيف ك» بطل رواية المحاكمة لفرانز كافكا، وفي جو كافكاوي أبـدع الكاتـب في تشـييده؛ يكتشـف البطل أزمتـه الوجودية بعـد أن فقد ذاكرتـه، وأنـه أصبح بالـكاد يتعرف على وجهه في المرآة، ووسـط عالم من الفراغ اللامتناهي بدأ البطل في محاولة إعادة اكتشاف ذاته من جديد، وعبر مجموعـة من المواقف يُظهر الكاتب من خلالها مدى تسـارع الأحداث في الألفيـة الجديدة، حتـى أضحت الحياة بمثابة تحدٍ بالغ الصعوبة لا مفر من معايشته والتصدي له من أجل البقاء.

ونتيجـة لظروف البطـل المرضية؛ يقع فريسـة للدكتورة «كريسـتينا» طبيبتـه المعالجـة، التـي اقتحمـت حياته الخاصـة وبلغـت أدق تفاصيلها، وأضحت خصوصية البطل منتهكة، سواء النفسية أو الجسدية، وفي ذلك إشـارة إلى حال الإنسـان في ظل تداعيات العولمة والتسـارع التكنولوجي الذي غزا حياة الشعوب، وأصبحت شؤونهم الخاصة تحت مرأى ومسمع الأقمار الصناعية وأجهزة التنصت عن بعد.

وقبل أن يتحول البطل «حبيب اليمني» إلى فأر تجارب تعبث به مراكز العـلاج الطبية بوصفه حالة طبية نادرة؛ يسـوق لـه القدر «الممرضة دي»،

التـي تتعاطـف معه وتخـبره بحقيقة ما تفعله بـه التجـارب السريرية التي يخضع لها، ويدرك «حبيب» أن إخلاص ممرضته هو مُخلصه من هذا العالم، فيقـرر أن يكـون العام الجديد الـذي صار على بعد سـاعات قليلة إنما هو إيـذان بميلاد حيـاة جديدة، تشـاركه في تلك الرحلة ممرضتـه «دي» التي وجد فيها خير شريك ورفيق.

بقـى أن نشـير إلى أن حياة بطل الرواية تتنـاص كثيرًا مع حياة مؤلفها، فالبطـل «حبيـب اليـماني» روائي وقـاص وفنان تشـكيلي يمنـي يعيش في فرنسـا، والمؤلف «حميد عقبي» روائي وقاص يمني يعيش في فرنسا أيضًا، وقد يشـعر القارئ أن هذه الرواية ربـما كانت حلمًا من أحلام يقظة «حميد عقبي»، وقد أراد بكتابتها أن يشـاركنا حلمه، على أمل أن تشـاركه بطلته «دي» عامه الجديد الذي يستقبله بعد ساعات من نشر هذه الرواية.

أدعـو القارئ أن يستنشـق عبير كتابات «حميد عقبي»، وأن يسـتوطن عالمه الروائي الخاص، الذي شـيده ببراعة سـارد عليم، وبحرفية سينمائي موهوب، وأظن أن من يطالع هذه الرواية القصيرة سيحظى بوجبة سردية طيبة المذاق، تؤكد على موهبة صاحبها وعطائه الثري المائز.

د. طارق مختار سعد
أستاذ النقد الأدبي والأدب المقارن المشارك
جامعة المنيا ـ مصر

الفصل الأول

يَخيّـمُ السـكونُ التامُّ على المكان شـبه المُظلـم، النوافذ لا تـزال مُغلقة، وتبـدو لمبةُ الممـرِّ بلونٍ يميـل إلى الأصفـرِ الخافت، يضعـفُ ضوؤُها، ثم يُصبـح وميضًا ويُصـدر صوتًا مُقلقًا يرتفعُ ثـم ينخفض. يكون (حبيب) مُسـتغرقًا في نومـه، تبدأ أصواتُ الرّسـائلِ القادمـة إلى هاتفه من أصدقاء بعيدين عنه، وككلِّ عامٍ في المناسباتِ والأعيادِ تصله العشرات منها، كأنّه نسي المُنبِّه أو أنّه لم ينتبه إليه، لذلك لم يَصحُو باكرًا كعادته.

يسـتيقظُ بـرأسٍ ثقيـل، عينـهُ اليمنى نصـفُ مفتوحـةٍ ولا تـزالُ عينهُ اليـسرى مُغلقةً تماماً. لحظة النّهوضِ الأولى قـد لا تعني رجوع الرّوحِ إلى الجسـد، كأنَّ الـرّوح تأخذُ موضعهـا وتحتاجُ إلى بعض الوقت. سـيحتاجُ إلى لحظاتٍ كي يشـعرَ بالحياة، يكادُ لا يشعرُ بصوتِ أنفاسه ودقّات قلبه، لكنّه يسمعُ بوضوح ضجيجَ لمبةِ الممرِّ ويتخيَّلُ المشهد، الذي يُشبه مشاهدَ أفـلامِ الرُّعـبِ، خاصة في بداياتِهـا. كما يصلُ إليه صوتُ قطـراتِ الحنفيّة وخريرُ الماءِ في مواسيرِ الصّرفِ الصّحيّ، ثم تتداخلُ مع صوتِ النوارسِ بالخـارج، ربّما تتعاركُ على بعضِ فتاتِ الخبزِ الذي يرمي به بعضُ الجيرانِ من نوافذِ مطابخهم.

في هـذا الجـوِّ المُعتِم، يظـلُّ في سريره مُتدثّـرًا ببعضِ الأغطيـة، يلتوي جسـدهُ بحركـةٍ لم يُخطّـط لها، تُشـبهُ وضعيّـةَ الجنـينِ في رحـمِ الأمّ. ينظرُ وبصعوبـةٍ يرى هاتفه الذي يُصدرُ بعضَ الضّجيج، يُقلِّبه، يمدُّ يدهُ فيجدُ زرَّ فتـحِ المصبـاحِ الكهربائـيّ، يضغـطُ عليـه، تتّضحُ معالمُ المـكان بفضلِ الضّـوءِ الأبيـضِ النّاعم. يتقلّبُ يمينًا ويسـارًا، يظلُّ محافظًـا على الالتواءِ ووضعيةِ الجنين. يتأمّلُ ما حوله، يجدُ نفسهُ في سريرِ نومٍ لشخصين تقريباً، تغطيـةُ عدةِ أغطيـةٍ ناعمةٍ تميـلُ ألوانُها إلى الرماديِّ والأسـود. يـدركُ أنهُ يلبسُ شميزَ بيجاما شتوية، ويدركُ أن نصفَه الأسفل عارٍ تمامًا.

يُحاولُ أن يسـتوي قليلاً، يسـحبُ الأغطيةَ ليستر نصفَهُ السفلي، يُحدِّقُ بالمـكان، يـرى لوحـاتٍ فنيـةً مُعلقةً عـلى الجـدران، وعلى يمينـهِ دولابَ ملابسٍ، وعلى مشجبِ البابِ بعضَ الملابسِ المُعلقة. خزانةُ ملابسٍ أيضاً، ولوحـاتٌ كثـيرةٌ ملفوفةٌ بـأوراقِ حفظٍ بلاسـتيكيةٍ خاصة. يعـودُ برؤيةٍ بانوراميـةٍ ناعمـةٍ من اليمينِ إلى اليسـارِ ثم من اليسـارِ إلى اليمين. يتوقفُ عند لوحةٍ لشـجرةٍ بفروعٍ عاريـةٍ، وبالخلفيةِ بيوتٌ متلاصقـةٌ ذاتُ نوافذَ كأنها أعينٌ تُحدِّقُ فيه. ثم ينقلُ نظرهُ إلى لوحةٍ يغلبُ عليها الأزرقُ لجسـدٍ أنثـويٍّ يبدو الصدرُ فيها عارياً والجسـدُ مُلتصقًا بجذعِ شـجرة. لوحاتٌ عديدةٌ تكادُ تكونُ مزيجًا بين الطبيعةِ والجسدِ الأنثويِّ العاري.

يصلُ بوجهِ نظرهِ إلى النوافذِ المُغلقة والستارةِ البلاستيكيةِ المُغلقة، ثم يشعرُ بضرباتٍ على النوافذِ وكأنَّ الريحَ تدعوهُ أن يستيقظَ بركلها وإحداث بعضِ الضجيج. ترتسمُ في ذهنهِ حالةُ الطقسِ في الخارج، ويعني ذلك ربما أنَّ هذا اليوم سيكونُ ملبدًا بالغيوم مع كرٍّ وفرٍّ للرياح، وقد تُمطرُ لساعةٍ وربما يستمرُ المطرُ لساعاتٍ وأيام.

يستوي جالسًا، يُوجه نظرهُ، يبحثُ عن ملابسهِ الداخلية، يرى سروالَ البيجاما، منديلَ ورقيةً مُستخدمةً مُبعثرةً، وكلسونًا نسائيًا بلونٍ بيج مخلوطٍ بالوردي. يشعرُ أنَّ روحهُ رجعت تمامًا إلى جسده. يُسارعُ لتركِ السرير، مُحافظاً على أحد الأغطيةِ التي تسترُ الجزءَ السفليَّ من جسده. ينهضُ بسرعةٍ ليلتقط سروالَ بيجامتهِ ويلبسه، وتظلُّ يدهُ اليسرى محافظةً على الغطاء، كمن يخجلُ أن يظلَّ عارياً. ترتخي يدهُ، يسقطُ الغطاء، فيُعيدُ رفعهُ ويلفهُ بشكلٍ جيد.

يشعرُ أنَّ المكان غريبٌ عليه، رأسهُ فارغٌ تمامًا من كلِّ شيء. يتأمَّلُ المناديلَ الملقاةَ على الأرضيةِ بجانب السرير، ينحني ليلتقطها، يُحدِّقُ بما يُشبهُ غطاءَ الكبوت الواقي الذكري، ويجدُ الثاني أيضًا. يلتقطُ كلَّ المناديل، ثم يُمسكها بيدهِ لتُصبحَ ككرةٍ صغيرة. يجدُ واقيًا ذكريًا ثالثًا وكومةً ثانيةً من المناديل. يُلاحظُ أنَّ أثرَ السائلِ المنويِّ لا يزالُ رطبًا. يجمعُ كلَّ المناديل، يلتقطُ الكلسونَ الأنثويَّ، يسيرُ ببطءٍ ليفتح الباب؛ يشعرُ

برعشـةِ خوفٍ، وتبدأُ تُداهمهُ عدةُ أسـئلةٍ عن المكانِ والزمانِ وهويته، فهو لا يتذكرُ من يكون.

يسـيرُ بالممرِّ، مصباحُ هذا الممرِّ لا يـزالُ يبعثُ بوميضٍ مع صوتٍ يثيرُ بعـضَ الغرابـة، يرى عن يمينـهِ زرَّ المصباح، يضغطُ عليـه ليُغلقهُ ثم يُعيدُ الضغط ليُشعله، يستقرُّ الضوء، يعيدُ رؤية الممرَّ والذي يؤدي إلى ممرٍّ آخر ينتهي إلى الصالةِ والمطبخِ وبابِ الخروج. يشاهدُ لوحاتٍ كثيرةً مُعلقةً على الجدران بشـكلٍ غـير منظم، تكادُ اللوحاتُ تكونُ متشـابهةً بمواضيعها: الطبيعةُ والتعرّي. يشاهدُ بعضَ الرسوماتِ على جوانبِ بعضِ الجدران.

يواصلُ سـيرهُ بخطواتٍ هادئةٍ وهو يمسـكُ كومةَ المناديلِ والكِلسونَ الأنثـوي، يقـوده الممرُّ إلى منعطفٍ يسـاري، يرى بـابَ التواليت ومقابلهُ بـابَ المغسـلةِ حيثُ توجدُ علامـاتٌ لتوضيحِ ما يوجدُ خلـفَ كلِّ باب. يسـتمرُّ ليكتشـفَ بابًا صغيرًا، يفتحـهُ ويرى صالةً واسـعةً مقابلها مطبخٌ صغيرٌ ومساحةٌ لمائدةٍ صغيرة.

يتجهُ إلى الصالة، ثمةَ ضوءٌ يكفي للرؤيةِ بفعلِ لأنّ النوافذَ لا تغطيها السـتائرُ البلاسـتيكية. ثمةَ ستائرُ خفيفةٌ شـفافةٌ حمراءُ مع طبشاتٍ بيضاءَ وبيجية، لونُ السـتائرِ يميلُ ويقتربُ من لونِ الكِلسـونِ الذي يحملهُ بيده. يـرى بالمقدمـةِ طاولةً وكأنهـا أيضًا مكتـب، عليها كتـبٌ وأوراقٌ ولوحةٌ غـير مكتملةٍ وجهازُ الحاسـوبِ المحمـول. يتأملُ ويـرى لوحاتٍ أخرى

مُعلقةً وجدرانًا مخضبةً برسوماتٍ. يجدُ حاملَ رسمٍ ولوحاتٍ صغيرةً غير مكتملةٍ مبعثرةً، أدواتِ رسمٍ، تلفازًا بشاشةٍ رقيقةٍ مُعلقًا بمقدمةِ الصالة. يلاحظ وجود أريكةٍ ثلاثيةً وأخرى ثنائيةً وكرسيًا شبه مكسورٍ وأمامهم طاولةً صغيرةً عليها بقايا مقبّلاتٍ وقناني الجعةِ وقنينةَ نبيذٍ فارغةً، كأسين للنبيذ، منفضةَ سجائرَ ممتلئةً بالرمادِ وبقايا سجائر. فوضى عارمةٌ تدلُّ على أنَّ المكانَ كان كأنهُ مشهدٌ لليلةٍ خمريةٍ باذخةٍ باللذّات.

يستديرُ ليكونَ مقابلَ واجهةِ مدخلِ المطبخ، يخطو نحوه، يتوقفُ ليُطالعَ بعضَ الصور لشخص، قصاصاتٍ من صحفٍ وبوسترات. يقتربُ لمعاينتها، بوسترٌ للوحةِ امرأةٍ عاريةٍ يغلبُ عليها الأزرقُ وعنوانٌ باللغةِ الفرنسيةِ (معرض تشكيلي «أنتِ واليمن» للفنان حبيب اليماني بمدينةِ كون النورماندي). وبوستراتُ معارضٍ تشكيليةٍ أخرى بنفسِ المدينةِ وفي باريس. قصاصاتٌ من صحفٍ باللغةِ العربيةِ فيها صورةُ شخصٍ وعناوينُ مشاركاتِ (حبيب اليماني) في مهرجاناتٍ سينمائيةٍ ومسرحيةٍ وأدبيةٍ في دبي، أبوظبي، الشارقة، الكويت، صنعاء، بروكسل، قرطبة، زيورخ، الجزائر وغيرها. يتأملُ الصور، يدركُ أنهُ لم يرَ هذا الوجهَ بأيِّ مرآةٍ، وهل هو هذا الشخصُ بهذه الملصقات؟

ينعطفُ إلى المغسلةِ ولا يزالُ يحملُ المناديلَ والكِلسون، يدخلُ إلى

المغسلة، يتوقفُ أمامَ مرآةٍ كبيرة، يستكشفُ أنه هو الشخصُ بالملصقاتِ والصّور.

يتركُ ما بيدهِ على حافةِ سخّانِ التّدفئةِ والذي يهتزُّ ويصدرُ صوتًا يشبهُ الشّخير. يظلُّ يتأمّلُ وجههُ ويُحسّسُ على خدّهِ الأيمنِ ثم الأيسرِ ثم الرّقبةِ وكأنَّ ثمةَ علاماتٍ لقبلاتِ امرأة.

يستديرُ نحو دولابٍ طويلٍ ويفتحهُ ليجدَ أدواتِ الاستحمامِ والنظافةِ الشّخصيّة. يتذكرُ أنّه لم يغسلْ فمهُ أو وجهه، يُسارعُ لفعلِ نظافتهِ الشّخصيّة. يشعرُ بقشعريرةِ البرد، يأخذُ من المشجبِ معطفًا ليُلبسهُ داخليًّا، يجدُ بأحدِ جيوبهِ بعضَ الواقياتِ الذكريّة. يشعرُ أنه بحاجةٍ للتبوّل.

يُسارعُ إلى التواليت، سرعانَ ما يتدفَّقُ البول، يلاحظُ أنَّهُ بلونٍ يميلُ إلى الصّفرةِ وبعضِ الاخضرار، وربّما يكونُ من تأثيراتِ الشّربِ الزّائدِ للكحول.

يُنهي فعلته، يعودُ إلى المغسلةِ ويغسلُ يديه، يأخذُ المناديلَ والكلسونَ من فوقِ حافةِ المدفئة. لا يدري إلى أين يتّجه، يتذكَّرُ الهاتف، يُسارعُ نحو الغرفةِ ويَلتقطُ الهاتفَ ثم يعودُ إلى الصالة.

يتجهُ نحو جهازِ اللابتوب، يضعُ بجانبهِ المناديلَ والكلسون. يجدُ علبةَ سجائرَ وقدّاحة.

ـ إذًا أنا مدخن؟

سـؤالٌ يوجّههُ لنفسهِ، يُمسـكُ بالعلبةِ لكن لم يأتِهِ الشّعورُ بالحاجةِ إلى التّدخين.

يكونُ بقربِ الحاسـوب، يُحرِّكُ فأرةَ الحاسـوب. يبـدو أنَّ الجهازَ تُركَ مفتوحًا، يُصادفُ رسالةً بالفرنسيّةِ في ملفٍّ تثيرُ اهتمامه. يقرأُ بتأنٍّ وحذر:

ـ «أشـكركَ على اللّيلةِ الممتعة، أجمـلُ من ليالي ألفِ ليلةٍ وليلة. فعلناها بلـذَّةٍ مثنى وثُـلاث، وقد احتفظتُ بمنديلٍ به الواقي المليء بعسـلكَ الأبيض، وأخذتُ إحدى فانيلاتكَ المعطَّرة بعرقكَ. كلُّ قبلاتي.»

ينظرُ إلى المناديلِ والكلسونِ، يحاول الرّبط بين الرّسالةِ وهذه الأشياء، لا يتذكّـر أيَّ شيء ولا حتـى صورة ضبابيّة، أيعقل أن يُعـاشرَ امرأةً لليلةٍ كاملة وينسى ما حدث!

يرى ملفًّا آخر ويسارع بفتحه ويجد نصًّا باللّغة العربيّة.

يقرأ بصوتٍ مسموع:

«أرى العالم يسـيرُ إلى الفوضى، ويسـير إلى العدمِ الذي جاء منه، أحفرُ في دواخـلي بحثًـا عنكِ وأبحث عن الـلاّ شيء، في كلِّ نصٍّ أكتبه أو لوحةٍ أرسـمُها أترك مسـاحةً فارغة، أخصّصها لكِ وحدكِ، تصبح حكايتُنا في عـدادِ الـلاّ شيء. قضيتُ ليلةَ الميلادِ وأنا أتأمَّلُ لوحـةَ الموجةِ الكبيرة قبالةَ

شـاطئٍ كاناغاوا للفنانِ الياباني (كاتسوشـيكا هوكوسـاي)، كأنّي أبحث عنكِ ويبدو أن فكرةَ هذا البحثِ تتطوّر وها أنا أشـتري لكِ كتابًا مصوَّرًا من رسـومِ (هيروشـيجي). أتخيّلُ نسـاءً شـبقاتٍ جنسـيًّا، يهمس في أذني (تانيزاكـي)، أن أكتب أكثر عن الرّغبةِ واللّذة. تتذكّرين روايةَ جوسـتين (ماركيز) والخبز الحافي (لشـكري)، كنّا نجعلها قريبـةً من مخدَّتِنا القطنيّة البيضـاء الطّويلـة، قـربَ الواقيـاتِ الذكريّـةِ وفي الجانـب الأيمـن كنتِ تفضّلين وضـع الكريمات الخاصّةِ ببشرتكِ وكذلـك المغذِّيةِ بالفيتامينات لإطالةِ المضاجعةِ بيننا. لنرقصَ على ترانيمِ مانترا شيفا المقدَّسة). تسري في جسـدي نفحاتُ (عبدالقادر الجيلاني) و(أحمد بن عجيل) لكنّها لا تفعل شـيئًا وأنتِ تطيلين في الغياب. كمن يدخلُ بمتاهةٍ معقَّدة، ويسأل: كيف يكون لي حبيبةٌ أو عشيقة وأكتب عن حبيبةٍ غائبة».

يفتحُ ملفًّا ثالثًا ليجد نصًّا يزيدُ من تعقيداتِ المتاهة:

«أحـبُّ أن أكونَ سـعيدًا، ويبـدو أنّي أحبُّ العزلة. قد نصـلُ إلى فترةٍ مـن حياتنا نشـعرُ أنّنا لم نعد نؤمـنُ فيها بالحبّ، إلى حـدِّ التّفكيرِ في قضاء بقيّـةِ حياتنـا نبتعـدُ عنـه: أنا لم أعد أؤمـنُ به. حلمـتُ به كثـيرًا وربّما منذ طفولتـي ولكنّـي لم أعد أؤمنُ به. قلتُ لنفسي: « حسـنًا، ربّما أكونُ مبالغًا بعـضَ الشّيء. بعد فـترةٍ من الوقت، عليك أن تتعلَّـم كيفيّة تقديمِ بعضِ التّنازلات، وتعلمَ أكثرَ فنون التواصل مع الآخرين، أو التّخلّي عن أشياء

معيّنـة، أو ببسـاطة أدركـتُ أنّي لم أتمكّن مـن مشـاركة كلِّ شيء مع تلك المـرأة، وأنّهـا لم تتمكّن من قبـولِ كلِّ شيء منّـي. أوه، اللّعنـة.. أنا وحيدٌ تمامًا في الحقيقة. أحبُّ أن أكونَ سـعيدًا، أحـبُّ العزلةَ وأحبُّ كسرَ نافذةٍ في جدرانها. لديَّ ما يكفي من المشـاغلِ والمشـاريعِ والكتابةِ لتغذيةِ حياتي ولكي أكونَ سعيدًا بمفردي، وهذا يناسبني جدّا فلماذا أخاف؟.

هنا مع نهاية النصّ يشعر بحاجته للتّدخينِ وشرب قهوةٍ مركّزة. يأخذُ علبةَ السّـجائرِ والقدَّاحة وينطلق إلى المطبخِ الـذي يظهر بحالةٍ فوضويّة، بقايـا أكلٍ وقنـاني الجعة. يلتفتُ يمينًا وشـمالًا، يتّجـهُ إلى دولابِ المطبخ، سرعـانَ ما يجد علبةً للقهوةِ ثم يسـتديرُ إلى طاولـةٍ عليها البرّاد الكهربائيّ وكومدينة أخرى فيها الصّحون والملاعق والكؤوس والفناجين. يسـارع ويُعـدُّ قهوتـه، تفـوحُ رائحةُ القهـوةِ العربيـة الأنيقة، ينتبـهُ لوجود بعض العلـب لبعـضِ الأدوية، لا يتذكَّـر أسـبابَ اسـتخدامها وإن كان مصابًا بمرضٍ مزمن.

يقـرّر أن يتفـرّغ لإعداد فنجان قهوته ويشـعل سـيجارته الأولى. مع أول سـحبة نفسٍ منهـا، يُدرك مذاقَ النيكوتين، يفتح بـاب النافذة، يلقي نظرته الأولى إلى الخارج. المنظرُ يشبه حديقةً خضراء صغيرة، عدة أشجارٍ عملاقة تتراقص مع الرّيح، شمسٌ خجولة تفرش أشعّتها ثم تعيد سحبها ثم تعيدها وتكرّر اللّعبة عدّة مرّات. لم يسأل عن الوقت، يؤخّر قليلاً هذا

السؤال ويستمرُّ بتأمّل الخارج ويرسل نفثاتِ الدّخان إلى الخارج مع أخذ رشفاتٍ من قهوته.

يكمل سيجارته بتأنٍّ ويواصلُ تأمّل المشهد الخارجيّ وكأنّه يراه بلقطةٍ عامّـة مهزوزة قليلاً، كلوحـةٍ تعبيريّة فيها تداخلاتٌ لونيّـة رقيقة وهادئة مع مسـاحاتٍ فراغيّة متعدّدة. يسـيرُ نحو الصّالة، يستوي أمام اللاّبتوب ويسـتخرج هاتفـه ليرى التّوقيـت: إنّها الثّانيـة بعد الظّهـر. اليوم هو ٢٤ ديسمبر.

يفتحُ حسابَهُ على الواتساب ليقرأَ تلك الرسائلَ التي وصلته.

رسائلٌ باللغةِ العربيةِ، يفهمُها:

حكمـت الحاج ـ كناية:، يجدُ رسـالة صوتية يسـمع: رفيق، سـلم لي على نادلاتك الجميلات ميجان، صوفيا، جاد وفريدة. ومرحبًا بك في كل وقت.

يجدُ رسالةً أخرى.

نبيـل شـوفان: حبيبو.. متى تأتي إلى باريس، مشـتاقون لجلسـة شـعرٍ ونبيذٍ صباحي.

د. سـعدي يونس بحري: أسـتاذ حبيـب، الله يخليك، يلزمنا نشـتغل ونبحث على مموّلٍ لفيلمنا أقنعة.. فين أنت ملتهي، هيا يا بطل.

ك: متى تحب أن تأتي إلى باريس نلتقي. بيزو.

سمير بية : نرحب بك في تونس.

بدر السويطي: مرحبًا أستاذ حبيب، ستصلكَ نُسَخٌ من كتبكَ الجديدةِ قريبًا.

رسـائلُ كثيرة وبعضها تهاني وكروت أتوماتيكية لمعايدات نهاية العام ورأس السنة.

ينظـرُ بجانـب اللاّبتـوب فيجـد فواتـير متعـدّدة للسّـكن والكهرباء والتّأمين وغيرها، يجد كرتَ الباص عليه صورته واسـمه (حبيب اليماني) وعنـوان السـكن، ويقـارن المعلومـات بما هـو موجـودٌ بالفواتـير. يفتحُ الإيميـل ويبـدو أن النافـذة كانـت مفتوحة ويجـد رسـائل ردٍّ على بعض طلبـاتٍ أرسـلها. بملفّات الإرسـال، يجـدُ ملفّـاتٍ كثيرةً لكتبٍ باسـمه وأغلفـة كتـبٍ أصدرها. يتأمّـلُ غلاف ديـوان (ملاك موت بـلا وطن)، صـورة غلاف ديوان (تشـيخ المـدن بعد رصاصة حرب واحـدة) وأغلفةً لثلاثـة مجاميع قصصية (كارمن)، (محطّـة مدينة كون النورماندي) ،رواية (إيريس)،روايـة (الكبش اليماني الفحـل)، و(مجموعة ثقوب القصصية). يعودُ لسطح المكتب للحاسوب وينقرُ على ملفٍّ يخزّن كتبه، ويفاجأ بكثرة كتبه بمجالات السينما وغيرها، ولا يصدّق أنه نشر كلَّ هذا.

يجدُ على الطاولةِ نسخًا لأكثرَ من عشرةِ كتبٍ نشرها، يتأمَّلُ الأغلفةَ، يرى صورتَه، يتصفَّحُ بشكلٍ سريعٍ ويقرأ من كلِّ كتابٍ بعضَ السطور، لكنَّه لا يتذكَّرُ محتواها ولا متى كتبها ونشرها. يجمعُ النسخَ، يضعُها جانبًا، يُحدِّقُ فيها، ويعجزُ عن تذكُّرِ أيِّ شيء.

كمن يبحثُ عن حلّ، يفتح نافذةً أخرى ويجد بروفايل فيسبوك وإنستجرام وقناة يوتيوب باسمه فيها مئات المواد، نقد وندوات وأفلام... يتصفّحُ هنا وهناك، يشاهد ولو أجزاءً ويرى نفسه وطريقه وكلامه وحركاته ونبرة صوته. يصابُ ببعض الصّداع، يغلقُ الحاسوب، يسند رأسه إلى الوراء وهو لا يدري ماذا سيفعل وأيّ شخصٍ موثوقٍ فيه عليه التواصل معه.

ينظرُ للتوقيت ويفاجأ أنه أمضى أكثر من ساعةٍ والمتاهات تزداد تعقيدًا، تطرأ برأسه فكرة الاتّصال بطبيبٍ، أكيد لديه طبيبٌ.

يبحثُ في هاتفه ويجدُ رقم(د. سونيا)، أكيد هي طبيبته، وخاصّةً أنّ هناك علب أدوية متعدّدة. يسارعُ يتّصل بها، تردُّ:

د. سونيا: الو، نعم.

هو: مرحبًا، أنا السيّد يماني.. أرجوك محتاج لموعدٍ للضرورة، أرجوك.

د. سونيا: أنا سأغادر بعد قليل، تعلم أنّنا في أيّام أعياد نويل، ولكن

إن كانت للضرورة القصوى تفضّل بالمجيء بعد عشر دقائق وسـأعطيك خمس دقائق فقط.. في انتظارك.

هو: شكرًا، شكرًا، ألف شكر.

ينهـضُ واقفًـا، كأنـه لمح إحـدى الأوراق بهـا وصفة طبيـة وأكيد بها عنوان طبيبته. يسرعُ إلى المطبخ، يبحثُ مرتبكًا ويُسقط من غير عمدٍ أحد الكـؤوس، لا يهتمُّ لهذا الحادث العابر، يعثر على مبتغاه، يسـيرُ بحذرٍ على الأرضية المليئة بشـظايا زجاج الكأس، يسـارع ليعدَّ نفسـه وهو لا يعرف الطّريق إلى الطّبيبة.

يخرجُ من الشّـقة، يكـون خائفًا قليـلاً، تصادفه جارته بالبـاب المقابل وتُحييه.

الجارة: مرحبًا جارنا نويل سعيد.. تبدو مستعجلاً.

هو: مرحبًا، فعلاً يجب أن أصل إلى عيادة (د. سونيا) في دقيقتين.

تبتسـم الجـارة: لا بأس، إنهـا في الطابق الأرضي بالعـمارة المقابلة لنا.. نحـن لدينا الحظ بوجود عيادة طبيّـة قريبًا جدًا ووجود صيدليّة وحانوت عـربي ومخبز وسـوبر ماركـت خلف عمارتنـا.. هل الحانـوت العربي يبيع حلويات عربيّة في نويل أم فقط في شهر رمضان وأعيادكم؟

يربكهُ السّـؤالُ ويردّ بعدم العلم، يبدو أنها تحبُّ الثرثرة، من الجيد أنها

أرشـدته لعنـوان العيادة. يشـكرها ويـسرعُ بالنزول. تابـع وصف الجارة حتى وصل إلى العمارة، وجد لوحةً باسـم (د. سـونيا)، يظلّ يتأمّل وينظر إلى لوحـة باب العمارة وكأنّه يجهـل رقم جرس العيادة. هنا يخرج أحدهم بكلبٍ متوسّط الحجم، يسارعُ الكلبُ بالرّكض ليتبوّلَ على جذع شجرة، يترك الرّجلُ لحبيب الباب، يسارعُ بالدّخول وسرعان ما يجدُ بابَ العيادة، يمسـكُ بالمقبض، ينفتح الباب، تكون الطّبيبةُ في انتظاره، تسـيرُ أمامه إلى غرفة المعاينة، يسرعُ ورَاءَها وكأنّه يخاف أن يُضيعَ الطّريق.

في غرفة المعاينة، تستوي الطبيبةُ على كرسيّها، يتأمّلها قليلاً، امرأةٌ ربّما تكون في نفس عمره في الأربعينيات، وجهٌ رقيقٌ وشعرٌ يميلُ للّون الأسود مع بعض الحمرة وبعض الشّعيرات البيضاء، صدرٌ ضامرٌ نوعًا ما، جسدٌ لا يزال فيه بعض ضجيج أنوثة هادئة.

د. سـونيا: سـيّد يـماني، ليـس لدينـا الكثير مـن الوقت، مـا الضرورة الملحة؟ هل أنت بخيرٌ مما تشكو؟

سؤالها يقطعُ تأمّله فيها.

يـرد: عفـوًا.. أشـكرك، لا أدري مـاذا أقـول.. أنا.. أنـا لا أعرف من أكون، يبدو أني فقدتُ ذاكرتي.

تصابُ ببعض الفزع، تنظر إليه مستغربةً وكأنها تريده أن يشرح أكثر.

د. سونيا: ماذا تقصد؟ لم أفهمك؟

سؤالها جعله كمن يشكُّ بلغته الفرنسيّة، أو ربّما بعض ارتباكه جعل عبارته غير مفهومة.

يردُّ، يحرصُ أن تخرج الكلمات والأفعال صحيحة: نعم، أنا مصدوم.. صحوتُ وأنا لا أعرف مكاني ولا زماني، ومنذ ساعتين بفضل ما هو موجودٌ على حاسوبي وهاتفي والصور في مسكني وبعض الأشياء، عرفتُ أن اسمي (حبيب) وأنّ لي لوحاتٍ وكتبًا وأنشطة أدبيّة وفنيّة، لكنّي لا أتذكّر أيّ شيء.. صفر.. هل أنا مصابٌ بمرض فقدان الذّاكرة؟

تنظرُ إليه بتركيزٍ كبير، وتحرّك يدها لفتح ملفّه الطبيّ على شاشة الحاسوب المكتبيّ.

تصمت لأكثر من دقيقة.

د.سونيا: أبدًا، أنت مصاب بمرض السّكريّ النّوع الثّاني وزيادة الكوليسترول، ولديك علاجٌ منتظم، وآخر تحليل كان قبل يومين، وحالتك مستقرّة لا بأس بها. كنتُ طلبتُ منك تخفيف التّدخين والكحول، وممارسة بعض الرّياضة.

هو: وجدتُ بالصّالة قناني كثيرة للجعة، وقنّينة نبيذ فارغة، يبدو أنّي

قضيـتُ ليلة الأمس مع رفيقـة، وكانت ليلةً صاخبةً، لكنـي لا أتذكّر أيّ شيء.

تبـدو عليـه ملامح الحـيرة والحزن، وهـو ينظر إلى عينـي طبيبته، وبدأ يشعر بملامح التعاطف على وجهها.

تشـيرُ إلى لوحـة فنيّة متوسّـطة الحجـم معلّقة على الحائـط، كأنّها تريد طمأنته.

د. سـونيا: أنظر، هذه إحدى لوحاتـك.. أحضرتها لي كهديّة، وكنتُ شـاهدتُ بعض لوحاتك وصورك بمعرضك العام الماضي بالمركز الثّقافيّ والاجتماعيّ بالحيّ. تعالَ كي آخذ قياس الضّغط.

ينهـضُ ويستسـلم لهـا، فتقيـس الضّغـط والنّبض، وتعمـل له بعض الفحوصات الرّوتينيّة، ثم مقياس سريع وفوريّ للسّكر.

تعودُ إلى كرسيّها، تطالع شاشة الحاسوب، تسجّل بعض الملاحظات، وتنظر إليه.

د. سـونيا: كلّ شيء كما هو، لا توجد زيادةٌ بنسـبة السّـكّر، والضّغط جيد... حسـنًا، أمهلني دقيقة، سـأتّصل بطبيبة عـلاج نفسيّ زميلة تهتمّ بمثل هذه الحالات، ولو وافقت سأرسلك إليها.

يتأمّـل مفردات المـكان ويبـدو ألا شيء يلفت اهتمامه، ينتظـر طبيبته، سرعان ما تعود وكأنّها تحمل خبرًا جيدًا.

د. سـونيا: تعلم صعوبة الوضع هذه الأيّام. تحدثتُ إلى (د. كريستينا) وعيادتها قريبة جدّا بالشّارع الخلفيّ، مسافة خمس دقائق. سوف أحوّلُ لها ملفّـك الطّبيّ الآن عـلى الإيميل، يمكنك أن تنتظـرني لدقيقتين بالخارج. سـوف أخذك بسيّارتي إليها، وأتمنّى أن تكون حالة طارئة مؤقّتة قصيرة.. هي ستهتمّ بك.

تشـيرُ إليه بالخروج وتبدأ بإرسال الملفّ، يشكرها بامتنان، ويغادر إلى الخارج.

تحيط الأشـجار بالمكان، وقـد فقد الكثير منها أوراقـه، لكن ثمّة جمال وضـوء خاصّ يحيط بها. تشاكسـها لفحات الرّيح أحيانًـا، وثمّة نوارس تطير وتهبط قرب العمارات، ويبدو الكثير من الفراغ وقلّة المشـاة. يشـعلُ سيجارةً أخرى، ويدع لنفسه السّباحة لتأمّل ما حوله، ثم يتطلّع إلى المكان وكأنّه يبحث عن طريق العودة.

هنـا تأتيه فكرة، فيقوم بالتقاط بعض الصّور للمكان، ومدخل العمارة التـي يسـكنها، ولقطة لنافذة شـقّته، ثم لقطات للسّـماء. يتأمّلُ الشّـمس

التي تستعدّ لترك هذا المكان، ويشعرُ وكأنّها تجمع حبّات الضّوء من على أغصان الأشجار العارية، وأجنحة النّوارس، ومن أسطح النّوافذ المغلقة.

يسمع صوت الطّبيبة تنادي وهي خلف مقود سيّارتها، لا يدري كم استغرق من اللّحظات في تأملاّته. يرمي بما بقي من سيجارته، ويسارع ليركب.

تسير السّيّارة بهدوء، تلتفّ يمينًا ثمّ شمالًا بشارع يسكنه الهدوء والخضرة. على بوّابات بعض البيوت، توجد مجسّمات صغيرة (لبابا نويل) وبعض زينة الميلاد، وكأنّ الحيّ عبارة عن بيوت متوسّطة وصغيرة تتميّز بجماليّات أكثر من الحيّ الذي يسكنه. سرعان ما تصل السّيّارة إلى مكان أشبه بحديقة صغيرة من الورود، ويرى بوّابة عمارة صغيرة من ثلاثة طوابق.

د. سونيا: وصلنا. طريق العودة سهل، تخرج من هنا، تأخذ يمينك إلى النهاية، وتأخذ يسارك تصل إلى الحيّ الذي به سكنك.

يشكرها وكأنّه حفظ المكان وخطّ سير العودة، ولا يبدو قلقًا.

سرعان ما تظهر (د. كريستينا) التي تسارع لاستقبال صديقتها (سونيا) وتعانقها بمودّة، ثم تتوجّه لتحيته وهي مبتسمة. امرأة تبدو في منتصف الثلاثينات، ملابس أنيقة وتنّورة إلى ما فوق الركبة، صدر مكتنز بالأنوثة، ووجه جميل تميّزه شامة أنيقة أسفل العين اليمنى.

تدعوهما إلى الدّخول، فقد خرجت تستقبلهما دون أن تلبس معطفها. تسير أمامهما، وكأنّ حركة مشيتها وحركة مؤخّرتها تشدّ وجهة نظره. مع دخولهم للعيادة، تبدو أنّها عيادتها وسكنها أيضًا، تطلب منه أن ينتظر في غرفة الانتظار لتكمل بعض الحديث مع (د. سونيا). كأنّ صداقة ومودّة تربطهما، فقد بدت الابتسامات وتعابير الوجهين سعيدة وفرحة لهذه الزّيارة.

في غرفة الانتظار، هدوءٌ حدّ السّكون التّامّ، نافذة صغيرة تطلُّ على حقلٍ من الزّهور العطرة. ها هي الشّمس تقتربُ وتلملمُ بقايا النّهار من هذا الحقل الصّغير. يُطيلُ النّظر إلى الخارج دون أن يولي اهتمامه بتفاصيل الدّاخل ولا الصّور المعلّقة الّتي ينتبه لها أخيرًا. تدهشه هذه الصّور الفوتوغرافيّة للضّوء والظّل، وكذلك بعض اللّوحات الصّغيرة جدًّا من نوع حياة جامدة.

تخرجُ الطّبيبة (سونيا) وتسلّمه إلى (د. كريستينا) ثم تغادر بشكل مستعجل. تبتسم (كريستينا)، تنظرُ إلى المكان وكأنّها تطلب رأيه الفنيّ بالصّور المعلّقة على الجدران. يُحوِّل بوجهة نظره بطريقةٍ بانوراميّة هادئة وسلسة لكلّ هذه الأعمال التي جعلت الكثير من الحوارات والعناق بين الظّلّ والضّوء. يُظهر ارتياحه لها.

تبتسم بفرح: «هذه صوري، لستُ محترفةً لكنّي أحبُّ الطّبيعة وأتذوّقُ الفنون التّشكيليّة. هيّا بنا إلى مكتبي. تفضلْ من هنا.»

في مكتبها، والذي يبدو واسعًا وأكبر من غرفة معاينةطبيبته، يطيلُ تأمّله إلى بعض الصّور بأحجامٍ كبيرةٍ لسحبٍ وللشّروق والغروب وظلال الأشجار. مكتبها أيضًا كبيرٌ وعليه كتبٌ وملفّاتٌ عديدةٌ وجهازُ لابتوب أنيق وجديد، وبالقرب منه تابلت متوسّط الحجم وهاتفها. غير بعيد توجد كنبةٌ ثلاثيّة وكرسيٌّ خاصّ مريح من النّوع الدوّار، وبعض التّحف لأقنعةٍ ومجسّماتٍ أفريقيّة وهنديّة. ما يميّز المكان أيضًا مجسّمٌ لبوذا. تدعوه أن يستريح على الأريكة وتعاود التّرحيب به.

كريستينا: أعرّفُك بنفسي، أنا كريستينا، مختصة نفسيّة وأعدُّ بحثًا ودبلومًا خاصًّا مع بعض المراكز في اليابان وأمريكا وألمانيا. ويتركّز بحثي عن الذّاكرة وخاصّةً الاضطراب أو الفقدان المؤقّت، وسأكون مستعدّةً للتّعاون، وبحثي يتابعه أساتذة كبار في هذه المراكز، وسأجد دعمهم أيضًا. قل لي أوّلا إن كنت تريد شرب شيءٍ أو أكل شيء. هذه عيادتي ومسكني، وقد ألغيت كلّ ارتباطاتي هذه اللّيلة ولبعض الأيّام من أجل حالتك.

يبدو كلامها مشجّعًا ويبعثُ في نفسه بعض الطّمأنينة.

هو: أشكرك، هذا كرمٌ منك. نعم، ممكن قهوة، الغريب أني لا أشعر بالجوع منذ استيقاظي

تتحرّك (د. كريستينا) لجلب القهوة، يُتابع التّحديق في أحد الأقنعة، وهو قناعٌ بشكل مستطيلٍ بعينٍ واسعةٍ وأخرى ضيّقة جدًّا، وخدّين منفوخين قليلًا وآخر محفورٍ بالدّاخل، وأنفٍ طويلٍ ورقيق، وفمٍ كأنّه فمٌ أنثويّ، وتلويناتٌ متعدّدة لكن يظلّ اللّون البنيّ مسيطرًا، وثمّة تدرّجات لونيّة متعدّدة بمزجٍ مع القليل من الألوان الحارّة.

سرعان ما تعود وهي تدفع برفقٍ طاولةً متحرّكةً خشبيّة لطيفةً عليها القهوة وفواكه جافّة، وبعض المكسّرات، وصحنٌ من السّوشي وصحنٌ يحتوي على قطعٍ صغيرةٍ من الخبز تلفُّ بداخلها شرائح السّلمون المدخّن، وبعض زجاجات الجعة لكنّ ماركتها غريبة لم يشرب مثلها قبل. تصبح الطاولة أمامه وهي تجلس على الكرسي قبالته، ثم تنهض وتحضر جهاز التابلت وهاتفها وورقةً.

كريستينا: «إن أحببت، خذ راحتك وانزع معطفك، تفضّلْ يمكنك أن تأكل كما تحبّ وتشرب أيضًا. هذا نوعٌ من الجعة اليابانيّة، طعمها لطيفٌ وممتع ولا توجد في أسواقنا هنا.»

يشكرها ممتنّا، يرفع فنجان القهوة الصّغير ويبدو أن طعمه أعجبه.

كريستينا: لا تستغرب من هذه المعاملة الخاصة في عيادة طبية. زميلتي (د. سونيا) حوّلت لي ملفّك الطّبيّ، لا تهتمّ بشأن الأتعاب، التّأمين الصّحيّ سيغطّي التّكاليف وكذلك مراكز البحث التي أعمل معها. أخبرتني طبيبتك ببعض التّفاصيل. أرجوك كن مسترخيا وبدون توتّر، سنتحدث، وتسمح لي بتسجيل جلستنا. وأرجوك أن توقع لي هنا بموافقتك على العلاج.

تناوله الورقة من يدها، الصّيغة بسيطة ومفهومة وبحدود سطرين لا أكثر. يسارع بالبحث في جيب معطفه عن قلمٍ، يقوم بالتوقيع راضيًا ويعيد إليها الورقة، تسارع بوضعها على مكتبها، تعود وتبدأ التّسجيل.

كريستينا: أريدك أن تحكي لي من لحظة استيقاظك إلى الآن وكلّ ما دار في رأسك حتى لو كان شيئًا بسيطًا وتافهًا؟

يبدأُ ويحكي لها بطريقة سرديّة متناسقة ومتسلسلة، تسمحُ له أن يدخّنَ ويشربَ زجاجة جعة، أن يفعل ما يشاء، يقف، يصمت، يؤدّي بعض المشاهد بطريقة تمثيليّة أقرب إلى المسرح. لم يخجل أن يحكي عن الواقيات الذكرية والسّائل المنوي بداخلها، وحتّى أنه حكى لها نظراته لمؤخّرتها وصدرها.

ينتهي من الحديث، يستأذنها لدخول الحمام، تسارعُ إلى إرشاده، تعطيه قنينة فحص بول صغيرة وشيئًا آخر لعمل فحص براز.

كريستينا: أريدُ أن أعملَ لك بعض الفحوصات وسأتّصلُ بمختبرٍ سيأتون لأخذ العينات، فحص بول، براز ودم.»

يبدي موافقته ويدخل الحمام ليقضي حاجته ويترك عينات.

تتصفّحُ (كريستينا) جهازَ التابليت، تختبرُ التّسجيل، تجده جيّدًا، تصوّرُ ورقة الموافقة، تسرعُ وترسلُ إيميلًا مختصرًا بالحالة لأحد المراكز في اليابان.

يعود وهي تظلّ تكمل مراسلاتها، ينظر حوله ليتأمّل صورها الفوتوغرافيّة، تكملُ عملها، تبتسم.

هو: تركتُ العينات هناك، لديّ بعض الأسئلة.

تتّجهُ نحوه وبيدها، كما يظهرُ، الأدواتُ لعمل فحص الدّم، يفهمُ ما تريد، يخلعُ معطفه، يجلس على الأريكة، تقومُ بأخذِ عيناتِ دمٍ منه، ثم تجري اتّصالًا للمختبر لأخذها.

هي: كل شيءٍ سيكون جيّدًا، سيأتون لأخذ العيّنات وستصلني النّتائج بعد ساعاتٍ قليلة، وقد نحتاج للمزيد من الفحوصات. أرسلتُ لأحد أساتذتي في اليابان تقريرًا مختصرًا للموافقة.. أكيد سيوافق لأنّني لم أكن أملك عيّنةً مثل حالتك وأرسلتُ له القصّة بصوتك.

يقاطعها: ولكن هل سيعرف فرنسيّتي؟

هي، تضحك: برامجُ الذّكاء الاصطناعي متطوّرةٌ جدًا، تترجمُ وتحلّلُ وتنسخُ وتدبلجُ، لا تقلق. إن أحببت الحديث بالعربية، لا مانع لدي. قل ما هي أسئلتك؟

هو: يعني أنا مصابٌ بفقدان الذّاكرة المؤقّت أم الخرف والجنون؟

هي: الجنون والخرف لا.. لا نستبق الأحداث، قد يكون نوعٌ من فقدان الذّاكرة المؤقّت، وسنبحثُ عن أسبابه وسنذهبُ إلى بيتك كما أظنّ. لا يزال كلّ شيء بمكانه؟

هو: نعم، لم ألمس أي شيء حتى المناديل والواقيات، لا يزال هناك الكلسون وكل شيء. لا أدري إن كان لي رفيقة وستعود إلى البيت أم أنّها عادت ولم يصلني اتّصالٌ ولا رسالةٌ ولا توجد لها أشياء في البيت.. ولكن هل يمكن أن يكون كلّ هذا من خيالاتي؟

هي تدوّن ملاحظات: تقصد أنّك كنت وحدك مثلاً؟ أو كانت معك عاهرة أو شيء من هذا؟ أي تشكّ أنّك تفتعل فقدان الذاكرة وأقنعت نفسك به؟

هو: ماذا يسمى هذا؟ جنون شاعر أم انفصام بالشّخصيّة؟

هي: نحن بالنّقطة الأولى، كل شيء سيتّضح بالتّحليل، وأحتاج

لتصويـر لوحاتـك ونسـخ ملفّـات كتبـك ومقالاتـك وحتّـى أفلامـك وفيديوهاتك.

هو: واو، كل هذه ستترجم إلى الإنجليزيّة؟ تحتاج وقتًا وميزانيّة.

هـي: لديهم برامج متطوّرة وسريعة ودقيقـة في التّرجمة والتّحليل، كلّ شيء ممكن، لا تقلق من هذه النّقطة.

هو: وهل الذين في مثل حالتي يمكنهم العودة إلى حالتهم قبل الحادثة؟ إن كنتُ كاتبًا، هل سأعودُ لممارسةِ نشاط الكتابة والرّسم والتّخيل؟

هي: سنعملُ على فعل ما يمكن فعله.

هنا تصلها رسـالةً على هاتفها، تسـارعُ وتحملُ عينـاتَ الدم وتبحثُ عـن العينات الأخرى لتسـليمها إلى المختبر، هو يعـودُ ليتوقّفَ مع لوحةٍ خشـبيّةٍ لامرأةٍ آسـيويّةٍ يلتفُّ حولها ثعبانٌ أبيضٌ منقـطٌ بنقاطٍ بلونٍ يميلُ إلى الحمرة، وحولَ المرأةِ رجلٌ سـمينٌ بقناعٍ وسـيّدةٌ كأنّهـا تعزفُ على آلةٍ موسيقيّةٍ غريبةِ الشكل.

شـدَّتهُ اللّوحةَ وتلكَ الإضاءةُ الخاصّةُ عليها. تقتربُ منه ومن اللّوحة وتنظـرُ لملامح وجهه المشـدودةِ إلى اللّوحة، وتتركُ له مسـاحةً من الوقت ليكملَ تأمّله، فيلتفتُ إليها.

هي: تسمّى (أسطورة الثّعبان الأبيض) أو(الأفعى البيضاء)، وهي أسطورةٌ شهيرةٌ في الصّين واليابان. اقتنيتُها بثمنٍ غيرِ مبالغٍ فيه في سوقٍ شعبيّ للتّحف، ويبدو أنها تحكي قصّةَ رجلٍ أحبَّ امرأةً وعشقها ثم تزوّجها، لكنّ أحد رجالِ الدّين العرّافين أخبره أنّ المرأة ما هي إلا جنيّة ثعبان، حبُّ الرّجل وعشقه لزوجته جعله لا يصدّقُ، ولكنّه رأى بنفسه بعد ذلك أنّها جنيّة، استدرجها إلى سردابٍ تحت أحد المعابد ثم سجنها إلى الأبد. الأسطورة مشهورةٌ والكثير يقوم بمعالجاتٍ فنيةٍ مختلفةٍ لها بالرّسم، النّحت، الرّقص، الموسيقى وحتّى الأفلام.

يستمعُ للقصّة بكلّ حواسّه.

هو: ربّما كان رجل الدّين على غير حقّ وزرع الوهم في رأس الزّوج العاشق، وقد يكون ما شاهده مجرّد تخيّلاتٍ وهميّة. تبدو حكايةٌ مثيرةٌ، ربّما حكايتي ستصبح مثيرةً بعد ذلك.

هي: أنت ناشطٌ جيد، قرأتُ أن لك ثلاثين كتاباً وقصّةً ولوحةً وفيلمًا. توجد مئات العناوين في محرّكات البحث باسمك أو عنك باللّغة العربيّة، و أيضاً بالفرنسيّة، خاصّةً معارضُك الفنيّة.

هو: شاهدتُ بعضها لكنّي لا أتذكّرُ ولو صورةً ضبابيّةً، ولا حتّى همسةَ صوتٍ، ولا أيّ حديثٍ لي مع أيّ شخصٍ في الكون. كما قلتُ لك

كلمتين تحدّثتُ بهما إلى جارتي عند خروجي من البيت ثمّ د. سونيا وأنتِ.

هنا يأتيها إشعارُ بوصول رسالةٍ بريدٍ إلكترونيّ، تسارعُ لفتحه وتنشغلُ بعملها، هو يعودُ إلى القناع الغريب ليتأمّله، يأخذُ وقته، تنشغلُ (كريستينا) بعملها ويبدو أنّ الرّسالةَ من اليابان من أستاذها، كأنّها تلقّت منه بعضَ الإرشادات، هو يندمجُ في تأمّلِ القناعِ وكأنّه يسمعُ الآن دقّاتِ طبلٍ خفيفةٍ لبدايةِ طقوسٍ وثنيّةٍ، ترنُّ في مسمعه بشكلٍ مشوشٍ، خافتةٍ وتتقطّعُ. يقتربُ أكثرَ من القناعِ لعلَّ صوتَ هذه الدقّاتِ يرتفعُ ولو قليلاً أو يستمرُّ دونَ انقطاع، يشعرُ أن هذه الدقّاتِ تشبهُ صوتَ مصباحِ الممرِّ في بيته لحظةَ الاستيقاظ، يحاولُ أن يستمعَ للصوتين ليقارنَ بينهما ليفهمَ المشتركَ بينهما.

تعودُ إليه بخطواتٍ هادئةٍ وقد طبعَتْ بعضَ الأوراقِ من أستاذها (البروفيسور/ يو).

هي: سنضطرُّ إلى الذّهاب من أجل عملِ فحوصاتٍ وأشعّةٍ وتخطيطِ دماغ، وصلتني رسالةٌ من(د. يو) وكذلك وصفةٌ بسيطةٌ لك.

هو: نهاية اليوم وأعياد ميلاد، أين سنجدُ كلَّ هذا؟

هي: لا تقلق، مستوصفٌ خاصٌّ ومركزُ (سان مارتان) الطبيّ

وسـندفعُ لهـم كلَّ طلباتهـم.. الأمر لـن يأخذ أكثـرَ من سـاعةٍ وخذ هذه الأوراقَ موافقـةً طبيّـةً للعـلاج للتوقيع عليها، سـتجدُ البنودَ بالفرنسـيّةِ والإنجليزيّةِ والعربيّة.. هيّا لنسرع، سيّارتي بالخارج.

يتبعها موافقًا، يُمسـكُ الأوراقَ وهو مسـتغربٌ لهذه السّرعةِ القويّةِ في التّعاملِ مع حالته، وهل ستكونُ حالةً عاديّةً أم مختلفةً وجديدةً.

الفصل الثّاني

في السّيّارة، يكون المساءُ قد بسطَ أرديتهُ وسلطتهُ على المدينة، تسير السّيّارةُ في زقاقٍ وشوارعَ شبه فارغةٍ، هي تشغّل أغنية (سيلين ديون) لكي تحبّني أكثر.

Céline Dion – Pour que tu m'aimes encore

كأنّ الأغنية تشدّهُ إلى وجهٍ لا يتذكّره، إلى مشهدٍ لطاولةٍ عليها شمعةٌ تشعُّ بالأزرق وصحنٌ أخضر وصوت (سيلين) يتغلغل بداخله، قد تكون صورًا تخيليّةً ليست من الماضي.

هي: هل تحبّ سيلين ديون؟

تصمت ثمّ تواصل حديثها: هي مغنيّةٌ بوبٍ كنديّةٌ مشهورةٌ وعالميّة، تشتهر بعدة أعمال موسيقيةٍ منها أغنيةٌ لفيلم ديزني الجميلة والوحش ولفيلم تيتانيك.

هو: لا أتذكّر شيئاً، ولكن وأنا أسمع الأغنية كأنّ بريقَ مشهدٍ خافتٍ لمح أمامي لطاولةٍ عليها شمعةٌ تشعُّ بالأزرق وصحنٌ أخضر وصوت سيلين هذه الأغنية، ولا أدري كأنّها مشاهد من الماضي أو تخيّلاتٍ لحظيّة.

وكذلك القناع في عيادتك، حاولت أن أمسكَ بصوت دقّاتِ الطّبل، كان الصّوت يتقطّع وكأنّ الصّوت يشبه صوتَ تقطّعِ مصباحِ الممرّ في بيتي.

هـي: تعلم أنّه في الدّور الثّالث يسـكن فنّانٌ من أصـولٍ أفريقيّة، وهو يبتكـر أعمالًا قريبةً لطقـوسٍ دينيّةٍ غرائبيّة. الصّحـن الأخضر كان هناك، صحن السّوشي ولونه؟

هو: يبدو أنّي قد أرى الأشياء، ولكنّ بعضها قد لاحظته بعد خروجي من المكان. ولكن السّـؤال المقلق: هل سـأصبح طبيعيًّا، وكأنّي قرأتُ عن الذيـن يفقـدون الحيـاة ثم يعـودون إليهـا، فيتحوّلـون إلى أكلي لحومٍ بشرٍ ومصّاصي دماء؟

ألا تلاحظـين أنّي شربـتُ فقـط قهوةً أو زجاجـةَ جعـةٍ ولم أتذوّق من المكسّرات ولا أيّ شيءٍ من تلك الأشياء، وتشدّني صورٌ لأساطير كالقناع وأسطورة الأفعى البيضاء.

يصمت، يشعرُ أنّ رعشةَ خوفٍ تلامسُ جسده وتكاد تشلّه.

هي: أنت لم تمت... مجرد فقدانٍ مؤقّتٍ للذّاكرة.

هو: ربما نفقد ذاكرتنا بعض الوقت بعد الموت.

هـي، كأنّها تجـرّهُ لحديثٍ آخر: لاحظتُ ولعَـك وانفتاحك إلى الكتابة عـن الجنس وعن نسـاءٍ لهـنّ ميولاتٌ جنسـيّةٌ متنوّعـة، وكأنّ في جزءٍ من

أحد نصوصك كأنّك ترحّب بدعوة امرأةٍ تقودك إلى لذّةٍ متفوّقةٍ أو تدعو امرأةً أخرى لخارطةٍ ثلاثية.

هو: حقيقة؟ لا أدري الآن حتى كيفية ممارسة الجنس؟

هـي: قلـتِ لي أن مؤخـرتي وصـدري بَعَثَا فيـك رعشـةَ الرّغبة، فهل شعرتَ بعضوك يتحرّك؟

هو: سأحاول التذكّر، يعني لا أزال طفلاً يتعلّمُ الحياة وكلّ شيءٍ، وإذا لم تعد ذاكرتي سأحتاج لدعمكِ في تعليمي.

هي: لا تقلق، سـنحصل على دعمٍ ويمكن أن نسـتعينَ بمتخصّصاتٍ بمجال التّدريب في السّلوكيات والجنس، نوعٌ من السّلوكيات، هنّ أشبهُ بالممرّضـاتِ الفاتنات. هذا التخصّص يوجد في ألمانيا والسّـويد وأمريكا واليابـان، خاصّـةً لمن يصابـون بالصّدمـات ويصبحون معاقين جنسـيًّا، وكذلك للمعاقين ولفئاتٍ عدّة، ويوجد كذلك شبابٌ كممرضين، وهي مهنةٌ ليست سهلة.

تصل السّـيّارة إلى مدخل المركز الطبيّ، تختلطُ أضواءُ المصابيح بالمطر الذي ينسـاب مشـبعًا بضوء القمر المكتمل، كأنّ المطـرَ رذاذٌ قمريٌّ، تارةً يسكبه بغزارةٍ وتارةً يبعثره في شكلِ قطراتٍ لطيفة.

قبل خروجهما، تشـير إليـه بالتّوقيع على ملفّ القبـول بالعلاج، يلقي

نظـرةً سريعـةً ويوقّـعُ بثقةٍ عاليـةٍ دون قـراءةٍ متمعنةٍ حـذرةٍ، تأخذ الملفّ وتضعه في حقيبتها، يسرعان بالخروج من السّيّارة، تستقبلهما دي ممرّضةٌ أنيقةٌ وجميلةٌ، شابّةٌ مبتسمةٌ وكأنّها ستقوده إلى الرّحلة في دهاليز هذا المركز.

كريسـتينا: الممرّضةُ الجميلة دي.. ستكون ملاكك الحارس والأمين. أنـا يجـب أن أطّلعَ على النّتائج وأرسـلها إلى البروفيسـور يو، لـكلّ دقيقةٍ ولحظةٍ أهمّيتها.

يسـلّم نفسـه للممرّضـة وكأنّه يفقـدُ النّطق لمـدّة دقيقةٍ تقريبًـا، تعرفه باسمها (دي)، دي مثل حرف دي سهلٌ وعزفٌ ناعمٌ.

تبـدأ الرّحلـة سريعًا بتبديل ملابسـه وبعض التّعقيـمات، روبُ قماشٍ مفتوحٍ من الخلف، يظهرُ ظهره أو جُزْءٌ من مؤخّرته أو أشيائه الذّكوريّة، رحلـةٌ لم يشـعر بضجيجها وتعبها بصحبة دي التي تسـلّمه وتتسـلّمه من مختصٍّ إلى آخر وقد تساعدهم، تمسكُ بيده أو ذراعه.

فحصـوا كلّ شيءٍ، حتّـى أشـيائه، كلّ شيءٍ القضيـب والخصيتـين والمؤخرة، أمسكت (دي) بقضيبه خلال هذا الفحص، هي مهنتها ممرّضةٌ ولا يوجد حرجٌ، ابتسمت أكثر من مرّةٍ عندما لاحظت اهتزازَ عضوه.

طمأنتْه بعبارة: «لا تتوتّر، لا تهتمّ بأيّ شيء.»

ثـم ينتهي به المطافُ بأخذ اسـتراحةٍ في إحدى الغرف وعودة ملابسـه كاملةً، تسـتمرّ (دي) برعايته والابتسـامة الدّائمة الأنيقـة التي جذبته من أولّ نظرة.

تأتي (د. كريستينا) لرؤيته وهي تبعثُ بأيّة نتيجةٍ تصلها إلى (د. يو).

د. كريسـتينا: جيّـد، كيـف حالك؟ تـمّ كلّ شيء، سـنغادر إلى بيتك مبـاشرةً، وقد نذهـب غدًا أو بعد غدٍ إلى باريس لعمـل فحوصات نوعيّةٍ طلبهـا (د. يو) يهزّ رأسـه بالموافقة، يظلّ يحدّق بالممرّضـة وكأنّه يتمنّى أن تطولَ إقامته هنا. تهمس له (د. كريسـتينا): هيـه، يبدو أنّها أعجبتك. إن أحببـتَ يمكننـي أن أتّفقَ معها لتكـون ممرّضتك الخاصّـة. لا يمكنني أن أدعك لوحدك ولن أسلّمك إلى أيّ مركزٍ نفسيٍّ هنا.

يبـدي فرحةً كفرحةِ مراهقٍ. تتحدث(د. كريسـتينا) إلى (دي) ويبدو أنها نجحت في أخذ موافقتها للعمل معها، تستأذن (دي) لتبديل ملابسها وتنتهي (د. كريستينا) من أخذ أغلب النّتائج.

يسألها: النّتائج؟»

تردُّ بصوتٍ إيجابيٍّ: لا تقلق، أنت لم تمت ولن تكون زومبيًّا أو مصّاص دماء. أفزعتني بفكرتك المرعبة.

يضحك بصوتٍ منخفض.

تعلّق على ردّة فعله: أكتبُ قصصًا وأفلام رعب، ستكون جيّدةً كقصصك الجنسيّة المثيرة.

هو: لمَ لا، لو عاد لي عقلي؟

هي: أنت عاقلٌ وعاقلٌ جيّدٌ، وسيكون كلّ شيءٍ بخير، وَقدْ يطلب (د. يو) زيارتك له إلى اليابان. اشتقت كثيرًا لذلك البلد السّاحر.

تأتي (دي) وهي جاهزة، فستانها القصير جدًا الأخضر الممزوج بلونٍ أصفر وخطوطٍ رفيعةٍ حمراء، مكياجها الناعم وشعرها السّلس الأسود يميل في بعض الأحيان إلى اللون البنيّ، في هذه الفترة القصيرة قدر أن يلمّ بجوانبَ أكثر لمواصفات جمالها.

تعمَّقتْ تفاصيلُها الساحرةُ في عقلِه ودواخله، أدرك أنَّ ثمَّةَ قصةً وحكايةً مهمةً ستكون هي بطلتَها. هذا الجسدُ كالغصنِ يستميلُ النسيمَ لمغازلتِه، فهي ليستْ بالقصيرةِ ولا الطويلة، صدرُها يضجُّ بأنوثةٍ مغريةٍ رغم أنَّ نهدَيْها يبدوانِ بمقاسٍ متوسطٍ، كأنَّها رمتهُ بسهمِ الهوى من النظرةِ الأولى. كأنه أيضًا أدرك أنَّ (د. كريستينيا) قد تُلاحظُ عليه هذا الإعجابَ بالممرضةِ وقد لا يُعجبُها هذا.

بدأ يشعرُ أنَّ (كريستينيا) تنظرُ إليه كحالةٍ نادرةٍ تصبُّ في مصلحتِها، وبدأ يُحاولُ المزيدَ من الفهمِ ويجبُ عليه أن يتعاملَ مع الموقفِ بذكاءٍ وألّا

يخسرَ (دي)، وتعودُ لهُ ذاكرتهُ للخروجِ من حالةِ الضياعِ التي يعيشُها منذ لحظةِ استيقاظِه.

الجميع في السّيّارة، ثمّ يتوجّهون إلى شقّته، ينشغل بشمّ عطر (دي)، ومرّةً أخرى تصدح (سيلين ديون) بأغنية «على قيد الحياة». يبدو أن (دي) مستمتعةٌ جدًّا بالأغنية، يظلّ يسترق النّظر إليها ما استطاع ولم يهتمّ كثيرًا بمتابعة رؤية الخارج.

ثرثرة المطر والفراغ المخيّم الذي يحتضن الطّرقات والمباني وكلّ شيءٍ وكأنّ المدينة خلت من أهلها.

في الشّقة، مع وصولهم ودخولهم، مع أولّ خطوة لهم يهمس: لا تعاتبوا من فقد ظلّه، أقصد ذاكرته.

يُشعل مصباح المدخل ثم يتقدّم بهم إلى الصّالة، تستخرج (د. كريستينا) هاتفها، تأخذ لقطاتٍ لكلّ شيءٍ وكلّ شبر، لكلّ زاويةٍ ولوحةٍ وملصق، تظلّ (دي) تنتظر أوامر (الطّبيبة) الّتي تقترب من الطّاولة وتأخذ المناديل بيدها، تفتّش بداخلها، تجد فعلًا الواقي الذّكريّ، كأن بداخله السّائل المنويّ، تشيرُ إلى (دي) والتي يبدو لديها بعض الأوامر المسبقة، تبدأ بجمع عيّناتٍ للفحص وكأنّ المشهد لوحدة البحث الجنائيّ بموقع جريمة قتل متسلسل.

جولات وصولات، تمشيط وتصوير لكلّ زاويةٍ والغرفة وبقيّة المرافق، تجمع (دي) بنشـاط عيّناتٍ لكلّ شيءٍ بقايا النّبيذ وبقايا الطّعام والمناديل، تجلس (د. كريستينا) على الكرسيّ مقابل جهاز اللاّبتوب.

د. كريستينا: سأحوّل كلّ جهازك للتّحليل بمركزنا باليابان، سيتّصل بي الفنيّ ويأخذ الدي إن أي الخاصّ بحسـابك، وكلّ شيءٍ سيصبح تحت تصرفهم... لا تمانع؟ ليس لديك أسرار؟

هو: مبتسـمًا: كشـفتم وفحصتم كلّ شيءٍ حتى مؤخرتي... يا سـيدتي كما يحلو لكم.

تنتهي (دي) من جمع ما يمكن جمعه، يبدو أن الدّكتورة أرسلت بطلب حضور أحدهم ليأخذ العيّنات، وفعلاً يصل سريعًا ويدقّ الباب، تسلّمه العيّنات، تتحدّث إلى (دي) ويفهم أنها طلبت منها تنظيف الشّقة، تسارع (دي) وهي تحافظ على ابتسامتها.

تراجع (د. كريستينا) مشاهدات (حبيب) على النت، تجد فيلمًا هنديًّا، فيلم «ساموهانام» للنّجمة البوليودية (أديتي راو حيدري) تتصفّح بعض المشاهد وكأنّها تصاب بصاعقةٍ وهي تردّد: معقول.. شيءٌ لا يصدّق.

تنادي (حبيب) و(دي) وتعرض لهما أحد المشاهد، تظهر الدّهشة على وجه (دي) وتتسمر بمكانها، لم يفهم حبيب ما يحدث، يتأمّل وجه (أديتي راو حيدري) وينظر إلى (دي) التي تكاد تكون ملتصقةً به.

د. كريستينا: حقًا تشبهينها كثيرًا كأنّكما توأم أو أنّكِ النّجمة أديتي راو حيدري.

يدرك هو أيضًا شدّة التّشابه ويظلّ محافظًا على تلاصق كتفه بكتفها ثم صدرها.

دي: أنا أصولي أسبانيّة ، والدي أسباني وأمّي برتغالية، كنّا نقيم في اليونان ثم إيطاليا وانتهى المقام بنا هنا. يخلق من الشّبه أربعين.

تنصرف (دي) لتكمل عملها، يجلس هو بجانب (الدّكتورة)، سرعان ما تبتسم وهي تفتح موقعًا بورنوغرافيًّا وتنظر إليه.

د. كريستينا: تبدو معجبًا بالممثلة (كاتسوني) وذوقك جيد في بطلات البورنو يشبه ذوقي تقريبًا.

هو: يتلعثم، تسارع وتبتسم: كلّ شيءٍ جيّدٍ يفعله الإنسان شرط عدم التّهوّر، الجنس، مشاهدة أو قراءة قصصٍ جنسيّةٍ أو الشّرب والمتعة.

هو: لا أدري كيف كنت أقضي اللّيالي وخاصّةً البارحة، بماذا ستفيدكم كلّ تلك العيّنات؟

هي: لا ندري أوامر (د. يو) والآن يفحصون ويحلّلون حاسوبك، وكذلك أعطني هاتفك، سوف أحوّله لهم أيضًا.

يعطيها الهاتف، ترسلُ شيئًا إلى رقمٍ ما لا يدري إلى أيّ بلد؛ يظلُّ لا يفعل شيئًا. بخفّةٍ ونشاط، تنتهي (دي) من التّنظيف، وتكون النّتيجة مبهرة.

د. كريستينا: حسنًا، استرح، آنسه دي، يحقّ لنا الأكل والمرطّبات. سأطلب لنا وجبات لحوم مشويّة ومقبّلات وخبز هنديّ بصحّة نجمتنا أديتي راو حيدري.

تضحك (دي): شكرًا د. كريستينا، العمل معك رائع وأنتِ لطيفةٌ جدًّا.

د. كريستينا: أرجوكِ أعطيه علاج السّكر والكوليسترول، وغدًا لا تنسي فحص السّكر ومقياس الضّغط والأكسجين، وأيّ شيءٍ اتّصلي بي. ستنامين هنا أو في غرفته، يوجد كلّ المستلزمات.

تهزّ الممرّضة رأسها بالموافقة ثم تنهض وتدعو (حبيب) لمرافقتها للفحص ثم أخذ علاج السكر. سرعان ما يصل الأكل، تفرش السّفرة، وهنا يجد نفسه يمتلك الشّهيّة لتناول الخبز واللّحوم والمقبّلات.

يغنّي على طريقة شعبان عبدالرحيم: لا أنا زومبي ولا دراكولا، أحبّ الخبز والمشاوي بلا كوكا كولا.

تعجبـه العبارة، يغنّيها بالعربي، يترجم لهـم معناها بالفرنسي، ترحبان به، بصوته العربي وبلكنته اليمنيّة.

يمـضي الوقـت سريعًـا، يـأتي وقـت مغـادرة (د. كريسـتينا)، تعطـي (حبيـب) عـدّة حبّـات علاج لينام في سـلام، يتناولهـا راضيًـا وكأنّه يريد أن تعـود لـه ذاكرته، ويشـكر الصّدفـة التي جمعتـه بالفتاة الأنيقـة الجذّابة (دي)، التـي تبدو مزهرةً بجمالٍ سـاحر وأقلّ من عمرهـا، لا يصدّق أنّها في الثّلاثينيّـات من عمرها. لا يدري كيف وأين يصنّف نفسـه، لا يعرف شيئًا عن ماضيه أو مستقبله؟ ماذا لو يظلّ مجرد عينةٍ وحالةٍ تتناقلها المراكز والخـبراء ويدرسـونها.. قد لا يجدون علاجها، لا يـدري إن كانت (دي) ملمّةً وتعرف حالته، إنّها مبتسمةٌ ورقيقةٌ في تصرّفاتها، ولا يبدو عليها أي ملامح خوف أو قلق.

يـزداد إعجابُهُ بها مـع كلِّ لحظةٍ تمرُّ، عيناها تُخفيـانِ حكايةً فيها بعضُ الأسرارِ والحـزن، وكأنَّهـا تُرسـلُ لـه بعضَ إشـاراتِ الرغبـةِ وتدعوه أن يصبرَ قليلًا لتحكيَ له كلَّ شيءٍ في الوقتِ المناسـب، دون أن تُثيرَ انتباهَ د. كريستينيا التي تُلاحظُ كلَّ شيءٍ، كلَّ وأصغرحركةٍ منها أو منه.

تقـوم (دي) بتبديـل ملابسـها، تلبـس بيجامـا قصيرةً يميـل لونها إلى الوردي الهادئ، يتأمّلها للحظات، تبتسـم ثم تسـتأذن لأخذ سيجارةٍ من علبته.

يردّ مرحبًا: تفضّلي الباكيت وصاحب الباكيت تحت أمرك، وكلّ شيءٍ هنا.. حتّى أنا تشوّقت لتدخين سيجارة.

يسيران إلى المطبخ، يفتح نافذة المطبخ، يشعل لها سيجارتها ثم يشعل سيجارته، رغم لفحات البرد إلا أنها تبدو محبّةً لهذا الطّقس، البرد الممزوج بالضّوء والقليل من المطر مع رفرفات ناعمةٍ للرّيح وأغنيات الشّجر المتناثر في الحيّ، على أرض الحديقة أسفلهما، يشاهدان سنجابًا يدعو رفيقته إلى ممارسة الحبّ.

لا يدري ما يقوله لها، وكأنّه لأوّل مرةٍ في حياته يكون مع امرأة.

هي: تبدو معاملاتك لطيفةً مع النّساء.

هو: أحقًا؟ لا أعرف الماضي، وإن كنت سببت سعادةً أو تعاسةً لبعضهنّ، لا أدري من أكون وأيّ نوعٍ من البشر؟

تبتسم له ابتسامةً تبعث فيه طمأنينةً مبهجة.

هي: أشعر أنّك إنسان طيّب وجيّد، الشّاعر والفنّان لا يكون وحشًا ولا شرّيرًا.. حسنًا، عليك الاستعداد للنّوم، أتحتاج مساعدتي؟

يشكرها، يتوجّه لتجهيز نفسه، وهي تظلّ في حالة تأمّلٍ للكون خارج النّافذة.

في غرفة النّوم، يسندُ رأسهُ على المخدّة، تدخل (دي) بفرش صغير وبطانية وتفرشها بالجانب الأيمن من السّرير.

دي: حباية الدواء ستمنحك نومًا عميقًا ومريحًا.

كأنّه سمعها تهمس له بأنّها تفضّل النّوم بجواره لأنّ السّرير واسع جدًّا، يشعر برغبتها، يأتي بخاطره دعوتها، فهو سيفقد تواصله مع العالم تحت تأثير الدّواء الذي تناوله.

هو: تفضّلي هنا.. السّرير واسع ولا خوف منّي.. سيكون نومي كموت سريع بعد هذا الدواء، وأشعر أنّ جسدي يثقل ويثقل، ولن أكون مشاكسًا معك أو أيّة امرأة وأنا في هذه الحالة.

تسارع بعفوية وتنتقل بجانبه، تطفئ الضّوء إلاّ من ضوءٍ ناعمٍ بحمرةٍ ممزوجةٍ بصفرةٍ رقيقة.

هو: لو أنّي كنت بالماضي وحشًا بشعًا، ربّما هي فرصة للتّطهير وأن أعيش إنسانًا طيبًا.

هي: تصبح على خير أيّها الشّاعر الفنّان.. نوم سلام وطمأنينة.

يتمكّن منه الدواء وكأنّ روحه تنسلخ من جسده لتحلّق إلى العالم العلويّ البعيد، وربّما هناك ستسأل عن كينونتها وكينونة هذا الجسد. ظلّت (دي) تحدّق في السّقف، تسمع أنفاس هذا الشّخص النّائم

بجوارهـا، كأنّهـا تراجـع شريط فيلم حياتها وترى نفسـها باهتـةً مبعثرة، تشعر أنّها تحتاج إلى منقذٍ وظلّت تنتظره.

سـألت نفسـها: هـل محـض صدفـة أن تكـون ممرّضةً لشـخص مثل (حبيب)؟

كأنّهـا تتمنّـى أن تكـون في حالته وأن تفقـد ماضيهـا وذكرياتها، ليت (حبيـب) يدرك قيمة هذه النعمة، هذا الكنـز، أن تعيد بناء كل شيءٍ وألا تسمح لأحدٍ أن يعيدك إلى كهوف الماضي. تهمس له بصوتٍ غير مسموع، فربما يسمع همساتها في حلمه.

تحكي له قصة حياتها وتنصحه ألا يكون فأر تجارب، لا يعلم أحد ماذا تفعل هذه المراكز البحثيّة العالميّة بنا وماذا سيفعلون به؟

تحـاول أن تفرغ بعض أنينها، تشـعر بالرّاحة. يعلو شـخير (حبيب)، بالتّدريج بدأت تنسحب من عالم اليقظة إلى العالم الآخر.

في الصّباح، بحدود العاشرة، يشعر حبيب أن روحه تعود إليه بسلام.

تكـون (دي) بفسـتانها الأنيق، يشـعر وكأنّها هي من زرعت بجسـده الـرّوح وأنّه يعرف عنها الكثير، يعرف صفاء هذه الرّوح التي تبحث عن عالم جديد، يعرف الآن كلّ شيء عنها. يفتح عينيه ولا يشـعر أن ثمّة عين

أوسع من الأخرى، ولا غربة زمانيّة أو مكانيّة. في ثوانٍ سريعة جدًّا، يرى شريطًا مصوّرًا لما حدث له بالأمس فقط، ولا يتذكّر ما قبله.

دي: صح النوم يا حبيب، فحص السّكر والضّغط، وسوف أسحب عيّنةً من دمك للفحص، وأحتاج لعيّنةٍ من..

يدرك ما تعنيه وكأنها لا تحبّذ ذكر بعض الكلمات مثل البول والبراز، وخاصةً في هذا الوقت، لحظة الاستيقاظ، عودة الرّوح إلى الجسد من اللّحظات الأكثر حساسيّة لأيّ كائن.

يترك لها نفسه لتفعل به ما تشاء، ينهض لعمل التوليت وغير ذلك وعمل العيّنات.

تنشغل (دي) بتجهيز الفطور، ويبدو أن (د. كريستينا) طلبت البقالة وأعطت أوامرها إلى (دي) ببرنامج هذا اليوم الجديد. يدخل إلى الصّالة ويشمّ رائحة الورد العطرة، كلّ شيء مرتّب ونظيف، تناديه ليأخذ الفطور بالمطبخ حيث توجد طاولة طعام صغيرة وثلاثة كراسي بمساحة جانبيّة صغيرة تطلّ على الخارج.

فطور خفيف، طاولة تزيّنها ثلاث وردات بيضاء، (دي) المبتسمة الأنيقة كقصيدة صباحيّة لم يكتبها أيّ شاعر أو يستكشف رونقها وقداستها اللّامحدودة.

دي: سيكون لديكَ نظام غذائي وقد يصل اليوم دواء كتبه لكَ الدكتور (يو). برنامجنا سيكون الفطور ثم جولة بالمدينة، وسوف أستأذنك للمرور إلى سكني، هو ليس بعيدًا بقرب الجامعة، ثم سنعود. ستأتي الدكتورة (كريستينا) للحديث معكَ، ولا أدري إن كنّا سنحتاج لكشف وفحوصات جديدة بالمركز.

يستمع إليها باهتمام، تبادل لنظرات مودّة وابتسامات، تفتح (دي) أغنية وجه لوجه للمغنية البرتغالية (ليندا دي سوزا).

Face À Face – Linda De Suza

تهز (دي) رأسها وجسدها منتعشة، تشعر أنه سمع همساتها وربّما يذعن إلى نصيحتها ويحذر من تسليم نفسه إلى هؤلاء، كأنّ كلّ الفوارق والحدود تذوب وتتلاشى بينهما، شيء ما يولد بينهما.

دي: أمّي كانت تحبّ أغاني الفنانة البرتغالية (ليندا دي سوزا) وربّما بسبب ذلك اسمتني (دي)، ومن حين إلى آخر أعود لسماع ولو مقطعًا صغيرًا لهذه المغنية السّاحرة.

يستمتع بهذه الأغنية ويستثمر اللّحظات للمزيد لتأمّل وجه (دي) الملائكيّ السّاحر.

ثم تسمعه إحدى أغاني المغنية من أصل يوناني (ديماندا جلاس).

Diamanda Galas

تتحدّث (دي) عن (ديماندا جلاس) بالكثير من الإعجاب بفنّها ونضالها الاجتماعي ضدّ الظّلم ودعم المرضى، وتسميها فنّانة الكرامة والمحبّة. تتراقص (دي) مع أغاني (ديماندا) وكأنّها تخرجها من دائرة الممرّضة المراقبة إلى الصّديقة الودودة.

تختم هذا الفطور وكأنّه أوّل مرّة يشهد مثل هذه المناسبة، فطور أنيق وصحيّ مع ثلاث وردات بيض و(دي) الساحرة وأغاني متنوّعة يكون ختامها أغنية «هذه هي الحياة» (للشّاب خالد). تتغلغل الكلمات بداخله.

هي: أعجبتك أغنية هذه هي الحياه للشّاب خالد، على فكرة الشّاب خالد صديقك، ولكَ معه عدّة صور، يسمّى ملك الرّاي وهو مشهور عالميًّا.

يطرق برأسه، يبحث عن أيّة ذكرى لكنّه لا يجد إلا الفراغ.

هو: لا أتذكّر، وتصلني رسائل كثيرة من الشّرق والغرب من أصدقاء وصديقات.. حقيقة لا أتذكّر أحدًا منهم، أغلقت هاتفي حيث من المحرج أن تردّ على صديق أو صديقة أو قريب وتقول له: لا أعرفك.

في المدينة، في وسط مدينة (كون)، يصعدان إلى (الشاتو)، على إحدى

شرفات هذا القصر القلعة حيث يمكنك أن ترى معظم أحياء وأزقّة مدينة (كون)، قباب ومنارات كنائسها الكثيرة والأنيقة. تدقّ أجراس الكاتدرائيّة الضّخمة إنّه يوم 25 ديسمبر، يوم صلوات وتذكار للسيّد (المسيح). هو لا يعرف شيئًا عن المسيح ولا قداسته، ولا يتذكّر أي معلومة عن أي دين أو ملّة أو مذهب.

يستمع باهتمام إلى نبذات مختصرة من وجهة نظر (دي) عن الأديان المعاصرة والاعتقادات. يبدو وكأنّها تؤمن بكلّ هذه الأديان، وكأنّها تصيغ لنفسها وللعالم دينًا جديدًا أنيقًا وإنسانيًّا لا يفرّق بين لون ولا جنس ولا لغة ولا جغرافيا، ويمنح الجميع الجنّة والخلود والسّعادة ويخمد نار الجحيم.

تصمت (دي) بعد هذيان طويل تكشف من خلاله جزءًا من روحها وعمقها الفكريّ والإنسانيّ. ويبدو كأنه أول المؤمنين بها كنبية جديدة أو ملاك يرسله الرّب إليه خاصّة.

يتجوّلان بعدة أزقّة في وسط المدينة، وخاصّة شارع الميناء، وكأنّه يشبه أزقّة ألف ليلة وليلة. يبدو سعيدًا بهذه المدينة الأنيقة والهادئة، وخاصّة في هذه المناسبة. في الشقّة، مع دخولهما بعد الجولة المرحة وما حدث فيها من تلاصقات وملامسات جسمانيّة، والأكثر ما كشفته له من أفكارها

ودخولها سكنها الصّغير والبسيط، بعد عودتها إلى شقته تأخذ مقياس الضغط والسّكر وتناوله أدويته. تظلّ النّظرات وحواراتها المتعدّدة نشطة بينهما.

يدقّ الجرس، تأتي (د. كريستينا) ويبدو أنها مرهقة بعض الشّيء بسبب عملها. تنصرف (دي) لتعدّ الغداء.

د. كريستينا: تبدو بروح مطمئنة وهادئة، لنكمل عملنا، أريدك أن تحكي كلّ شيء من لحظة استيقاظك بالأمس إلى اللّحظة.

يحكي لها وبقالب سرديّ كلّ التّفاصيل، يخفي مشاعره تجاه (دي) وكلّ حواراته معها، كأنّه يخاف أن يفقدها ولو للحظة. تسجّل (كريستينا) ما يقوله وترسل به إلى (د. يو).

كريستينا: لقد تحدثت مع البروفيسور (يو) وهو مهتمّ بحالتك، سنسافر إلى اليابان وأمريكا وعواصم عالميّة كبيرة. (د. يو) جعل حالتك من النّماذج المهمّة، والآن تُترجم قصصك وقصائدك وكتاباتك ومقالاتك إلى عدّة لغات، أي الإنجليزية واليابانيّة والفرنسيّة والألمانيّة، وكأنّ الحظّ يمنحك الفرصة للشّهرة.

يسألها: هل ستكون معنا (دي) في هذه الجولات؟

كأنّها ليست راضيةً عن سؤاله.

كريستينا: سنوفّر لكَ مئة (دي) وأجمل منها، وكلّ رغباتكَ مجابة.

يهزّ رأسه كأنّه أدرك أنها ليست راضية عن سؤاله، يشعر أن (كريستينا) تنظر إليه كحالة ومادّة للبحث، وعيّنة وفأر تجارب. يحاول عدم جعلها تغضب من (دي) أو تطردها، ولكن بقراره نفسه يصمّم أن يتمسّك بها.

هنا كأنّه يسمع همسات (دي) الخفيّة، تلقّنه بعض الكلام. يشعر الآن أنّ هذه المراكز قد تحوّله إلى زومبي، وربّما أقبح وأشنع. يدرك أنّه في ورطة حقيقيّة وأنّه وقّع الكثير من الأوراق دون أن يعرف ويفهم ما فيها، كأنّها صكوك بيع نفسه إلى أناس لا يعرفهم ولا يعرف خفاياهم.

يتّصل (د. يو)، وعبر برنامج خاصّ دقيق بالتّرجمة، يحكي (حبيب) قصّته ويحافظ على أن يخفي مشاعره بخصوص (دي). يستمع (د. يو) مهتمًّا بالقصّة، ويخبره أنّه سيكون الحالة والعيّنة الأكثر أهميّة بالمركز، وسيسارع بتنظيم الرّحلة إلى طوكيو.

تتحدّث (د. كريستينا) عن جمال طوكيو، وتسمّيها أميرة الدّنيا ودرّة العالم، حيث تجمع العلم والفنّ والأدب والمال، فهي بحسب تعبيرها الفردوس الحقيقيّ الواقعيّ، وليس المتخيّل البعيد. كأنّها تريد دفعه للخضوع لها وأن يكون مطيعًا. تحدّثه عن المكاسب الكثيرة، وخاصّة ترجمة كتبه وأعماله الفنيّة والمسرحيّة والشعريّة إلى أربع لغات عالميّة، والرّبح الوفير والرّغد المادي مع شهرة اسمه العالميّة.

يبدي رضاه لكلّ هذه العروض، يتصنّع أنّه يبتسم للوعود المغرية جدًّا، يتمنّى أيّ كاتب ولو واحدًا من المئة منها. هنا يدقّ الجرس ويأتي الدّواء الجديد الذي أرسله (د. يو) عبر البريد الدّولي السّريع جدًّا. تعطي (د. كريستينا) تعليماتها الدّقيقة إلى الممرّضة (دي)، ويبدو أن ثمّة أوامر ومحاذير فلا عواطف، كأنّها لا تمانع حتىّ بوجود علاقة جنسيّة ميكانيكيّة شرط أن تخلو من العاطفة.

اللّيلة ميلاد المسيح، نور الرّب وبهجته وضحكاته وهديّته إلى البشريّة بحسب وصف (دي)، هو لا يعرف الرّب ولا أين يكون.

تقول له (دي): أنت مسلم وديانتكم مختلفة ونبيّكم مختلف، لكنّ الجميع يجب أن يحبّ المسيح حتّى وإن اختلفنا على طريقة صلبه وموته أو رفعه إلى السّماء بحسب بعض العقائد. المسيح تألّم وذاق مرارة الصّليب من أجلنا جميعًا، لكن العالم يتنكّر وينسى تلك التّضحيات ويتمادى في العنف والشرّ.

تبدو اللّيلة تضجّ بالنّور والضّوء والطّقس الجيّد، مما يبعث الكثير من السّلام لروح هذا الكون.

تقوم (دي) بتحضير ليلة مميّزة، مائدة أنيقة بوجبات متنوّعة ونصف زجاجة من النّبيذ المعتّق، وشموع وبخور. ليلة فردوسيّة ذات قداسة

خاصّـة، وكأنّها ربّما سـتودّعه. تعلم أن (د. كريسـتينا) تريـد أن تتخلصّ منها، وهو أيضًا يدرك هذه النّقطة ويحاول ألاّ تحدث.

تنتهي اللّيلة بعد سماع الكثير من (دي) حكايات وأساطير من البرتغال وإسـبانيا واليونان. حكت له عن أسطورة الملكة (إيزابيلا)، ملكة الورود التـي أحبّت العالم وتعاطفت مع الفقـراء بتوزيعها الخبز عليهم، ورفضها أوامـر زوجهـا الملـك (دون دينيش) الـذي نظر إليهـا على أنّها مبـذّرة أو سـاذجة. يبدأ يتخيّل أحد المشـاهد ويرى (دي) تلك الملكة الكريمة وهي تخفي الخبز بفستانها، ثم يرى (د. يو) وخلفه (د. كريستينا) وهما يحاولان تجريدها من فستانها ورمي الخبز بالنّهر.

تصرخ (دي): ما أحمله بعض ورود المحبّة

تتدخل قوّة من الحرس الغلاظ ويجرّدونها من فسـتانها، فتتناثر الورود بألوانها وتصبح حمائم ثم نجوم.

هكذا تخيّل الأسـطورة وكأنّها توحي إليه بأشـياء كثيرة وتعمّق قداسة (دي).

يبدي إعجابه بها وهي تحكي له عن «لا داما ديل لاغو»

(La Dama del Lago)

الحوريّـة الجميلـة التـي كانت تعيـش في بحـيرة مليئة بطيـور البجع،

وحولها حقول الزهر والياسمين وعبادة الشّمس، موطن تزاوج العصافير والطّيور الجميلة التي كانت تظهر للنّاس وتعطيهم نصائح السّعادة.

ثـمّ تحكـي له عن بلـدهِ اليمن، بـدت حزينةً لما يصيبُ تلـك البلادِ من دمارٍ بسببِ حروبٍ وصراعاتٍ، وتمنَّت أن تكونَ مدينتُهُ وأهلهُ بخير.

لأوَّل مـرَّةٍ يسـمعُ كيف تنطقُ اسـم بلادهِ وأرضهِ، تمنَّى من السَّـماء أن تُعيدَ له الذكرياتِ الفَرِحة والسعيدة وتُحرق كلَّ ذكرياتهِ السيئة والمؤلمة.

ينفصـلُ عنهـا لبعضِ اللحظـاتِ فيراهـا متألقةً، يـرى (دي) هي (لا داما)، يـرى نفسـهُ يطلـبُ نصيحتهـا وبركاتهـا، لكنَّها لا تبدو سـعيدة، فالكثـيرُ من الذينَ أعطَتهم النصائحَ والأغاني نسـوها وخالفوها. يقسـمُ لها أن يكونَ صادقًا.

تقولُ له: كن الإنسانَ الجديد.. خُذ السعادةَ الجديدةَ بقوة.

يزدادُ إيمانُهُ بها، ويقرِّرُ أن يأخذَ بالنصيحة.

ليلة الميلاد، ها هو يولدُ من جديد. يلتصقُ بها، يرحب بهذه الملامسات، يتغير المشـهد في لحظات حيث تتفجّر الرّغبة بينهما، قبلات ثم مداعبات، ويذهبـان أبعـد من ذلك. دعتـه أن يفعلها بحبّ، توقع فسـتانها القصير، تسـقط كل الحواجز، يكون ما يكون، في الصّالة ثم الغرفة. ليلة فردوسـيّة يفعلانها ثلاث مرّات، يرميان بورق المناديل الناعمة بعد جمعها على شكل كرة مكوّرة صغيرة.

النهاية

في الصّباح الباكر، تنهض (دي) تُقبِّلَه، مشهد البيت جعلها تتذكر المرّة الأولى التي دخلت هنا قبل الأمس، بقايا ليلة اللّذة وسروالها الدّاخلي الشّفّاف الأحمر وبقايا العشاء والسّهرة. تهزُّ رأسها، تنفضه من أيّة شكوك جديدة. رأت (حبيب) للمرة الأولى بالمستوصف، ولم تكن معه ليلة فقدانه لذاكرته. المهمّ أنّها تشعر الآن بالسّعادة وكأنّها أوّل مرّة تكون فرحة وسعيدة. تجمع المناديل والواقيات الذكريّة وبقايا تلك الليلة، تخفيها في حقيبتها مخافة أن تأتي الطبيبة وتفتّش سلّة القمامة.

ينهض بروح منتعشة، يشتعل شوقه إلى (دي) الحورية والملاك، المرأة التي منحته ليلة ميلاد خاصة. يجدها بالمطبخ، يطوّقها بذراعه، تذعن لرغباته. فعل الحبّ في الأجواء والمناخات الصباحيّة لذيذ، الممارسة على الرّيق. همست له: «ما أجمل الجنس الصباحي على الرّيق، لذته مسكرة.»

يغتسلان، يعدان الفطور، ويكون بينهما حوارات واتفاقات وعهود إلى حياة جديدة. يقرّر أن ينسى الماضي، ولا يركض ليستعيده، أن يترك الشّهرة والمال والرّحلة إلى طوكيو، أن لا يأبه بالمجد القادم وترجمة كتبه إلى

لغـات متعدّدة. لكن عليه الحذر من (د. كريسـتينا)، قد تنتقم منه وترميه بمستشفى المجانين أو تكتب تقريرًا بأنّه شخص خطر على المجتمع.

تدخل (د. كريستينا) ويبدو أنّها نسخت المفاتيح، وكأن شكوكها تكبر وأن أشـياء ما تحدث بين المريض والممرّضـة. يكون بالصّالة و(دي) تقوم بأعمال التّنظيف. تبدأ جلسـة عاديّة وتطلـب منه أن يحكي كلّ التّفاصيل، فيعيد لها الحكاية ويحذف بذكاء ما حدث بينه وبين (دي).

تعرض عليه وصفة دواء جديدة أرسـلها (د. يو)، تلمح له بأن ينتقل معها إلى مكان خاصّ وجديد تجهّزه لمتابعة العلاج. تتوفّر في المكان الجديد الذي يتميّز بمواصفات التّواصل مع (د. يو) وبقيّة المراكز. يبدي موافقته ويشعر أنّ المكان الجديد سيكون مزوّدًا بكاميرات مراقبة وتنصّت.

تتركـه وتتحدّث مـع (دي) حول البرنامـج الجديد وتعاليـم الوصفة الجديدة،

قبـلَ مغادرتهـا، تبقـى لأكثرَ مـن دقيقةٍ متسـمِّرةً قربَ الباب، تمسـكُ بمقبضِه، وتتأمَّلُ المكانَ. يبدو أنَّها متأكدة من وجودِ علاقةٍ تجمعُ الممرّضةَ بمريضِهـا، تهزُّ رأسـها كأنَّها قرَّرت تداركَ أيّ خطـأٍ قد يجعلُها تخسرُ هذه الحالةَ النادرةَ، وهذا المريضَ المطيعَ الذي سـلَّمَها نفسَـهُ بسـهولةٍ وأصبحَ مادَّةً تشـكِّلُها وتفعل بها ما تشـاء، فلا أحدَ سوف يُسـاءلُها أو يُساءلُ هذا المركزَ الذي يريدُ تطبيقَ تجارِبِه عليه.

تضطـرُّ إلى المغـادرة، وربـما قد تعـودُ سريعًا بقـرارِ طـردِ (دي) وأخذِ (حبيب) وفصلِهِ عن أيِّ شخصٍ.

يدرك (حبيب) أنّه مع خيارين: أن يكون حرًّا من كلّ شيء ومع ملاكه (دي) وحيـاة جديدة دون ذكريات ماضيـة ولا ذكريات أصدقاء قدامى، ولا مجد قريب، أو أن يصبح فأر تجارب في مختبر (د. يو) وبقيّة المختبرات، ويجرّب كلّ أصناف هذه الأدوية الغريبة. يختار (دي) ويودّع الماضي.

يصـارحُ (دي) بقراره، تعانقُهُ بقوّةٍ وفرحٍ، تشـعرُ أنَّها أنقذتْهُ من تجربةٍ قاسـية، وأنَّـهُ يُنقذها أيضًا من مـاضٍ وحكاياتٍ حزينةٍ سـوف تحكيها له عندما يجدانِ مكانًا آمنًا.

ما أبشـع أن يكون الإنسـان فـأرًا في قفص التّجـارب وأن يكون تحت سطوة رقيب لا يغفل عنه لمدّة ثانية واحدة.

تحدّثـه عن مخاطر الهروب من الماضي و(د. كريسـتينا) ومختبر (د. يو)، تقترح عليه الذهاب إلى قرية هادئة حيث (بحيرة لا داما ديل لاغو).

يوافق.

يتخلّى عن كلّ شيء، يأخذ فقط بعض اللّوحات التي يشعر كأنّها تقرأ بعض الأساطير كأسطورة (الأفعى البيضاء) وأسطورة (لاداما).

تشعر (دي) أنّه يحطّم قيودها الثقيلة والمؤلمة، فتقرّر التحرّر وأن تذعن للرغبة، أن تكون (لا داما حبيب) حرّة وسعيدة.